صلوا لاجلي .. في ظني هذه اخر مرة اشاهدكم .. الوداع ايها الاحباء الوداع .. » وعند ذلك لعجت الاحزان فواد الحضور واصات ضلوعهم وتساقطت الدموع على خدودهم . قال لهم الحبر الجليل . « انما ابقانا الله تعالى لمثل هذا اليوم وهو القادر ان يعضدنا ويسلحنا بخوذة الغلبة » وبعد هذا كله عاد الزائر العزيز الى مركزه وخلف في قلب المطران والاباء تذكارًا طيباً جميلًا يبدونه ويعيدونه ما داموا في قيد الحياة

وعصر عيد الجسد ٣ حزيران انقضّ على ماردين ممدوح راس النحوس وصاحباه الياور وهرون قائدا النكد والشوم وساروا توًا الى دار الحكومة ظانين انه لن يصمد بيدهم تنفيذ اوامر الوالي سيدهم . وفاتهم ان طرق الغدر والخيانة قد مُهدت وابواب الشر والفساد قد فتحت . واتفق ان حلمي بك المتصرف كان متغيباً عن البلد فاستفرص دعاة النفاق فرصة غيابه الى اقتراف ما يطيب لهم . وما وضع هولاء الثلاثة اقدامهم في دار الحكومة حتى بُعثت اليهم اوراق التزوير تترى وانثالت عليهم شهادات التمويه أرسالاً . فكان كلٌ يرقم في ورقته اسماء من شاءت خباثته ويدفعها الى الوفد الجزيل الاحترام ويعرضها عليه قائلًا ان افتقرت الى تأييد دعواي ايدته بشهود عدل اي زور

وعين البغض تبرز كل عيب   وعين الحب لا تجد العيوبا

فارسل وفد الشوم من فورهم شرذمة من الجند وفيئة من العسكر الحميدي كبسوا كنيسة الارمن واستحضروا للحال المطران اغناطيوس والاب بولس سنيور كاتب سره الى دار الحكومة . ثم

بثوا في تلك الساعة نفسها طائفة من الجنود في البلد يستدعون وجهاء الارمن الى ذاك المحفل الخبيث . فقبضوا في تلك الساعة النحسة على سبعة وعشرين رجلًا منهم نعوم وجرجس جنانجي واسكندر آدم وابنيه شفيق وغسطو وانطون كسبو واسكندر وفتح‌الله كندير وجبرائيل عين ملك وفرنسيس دقاق ويوسف ابنه وسعيد عشو وحنا مخولي ومنصور شقيقه وعمه بوغوص ويوسف ترزي وعبد المسيح آدم ونجله آدم وسليم عبراني. فشمل القلق جمهور المسيحيين واستبهم عليهم الامر وباتوا يحسبون الف حساب ويستفسرون عن السبب .. فكان الخونة يقولون لذويهم ان غدًا يُطلق سبيلهم بعد استنطاقهم ..

وسحر الجمعة ٤ حزيران احتاط الجنود بالبلد وامروا المنادي ان يصيح « من خرج خارجاً قُتل » ولما بزغت الشمس انتشر الجنود والعسكر الحميدي الحديث كالجراد في احياء النصارى وفي الاسواق ونشبوا يقبضون على من وجدوا من الاغنياء والوجهاء من جميع الطوائف النصرانية من دون تمييز حتى بلغ عددهم ستمائة واثنين وستين رجلًا فحشروا طائفة في السجن وطائفة في الثكنة حتى غص بهم كلا المحلين . وزادوا على ذاك اللوم والنفاق انهم اغلقوا الكوى والشبابيك والابواب اغلاقاً محكماً حتى كاد المسيحيون يفطسون . وأغمي على الشيخ يوسف جرباقه لضخامة جسمه فاستدعى ابنه ابرهيم البواب ونفحه ستين غرشاً فأذن له ان يرقد عند الباب

وقبضوا بعد الظهر على اثني عشر قساً ارمنياً وكبسوا دار الخوري روفائيل بردعاني واستاقوه بشراسة الى المحكمة وقبضوا على قسين آخرين من كهنة السريان الكاثليك وهما القس بطرس عيسى والقس

يوسف معمارباشي

وواصل الجنود شغلهم يوم السبت ايضا فجمعوا زهاء مائتي شخص في دار الراهبات الفرنسيسيات حتى اذا كان الغسق استاقوهم جميعاً اثنين اثنين الى السجن وكدسوهم فوق بعضهم

وفي اليوم ذاته هجموا كنيسة الكبوشيين وصادفوا دفتراً تضمن اسماء المشتركين في اخوية مار فرنسيس وكان عنوانه « اخوية مار فرنسيس » ففهموا بفرنسيس فرنسا وادّعوا انها جمعية فرنساوية.. ما اشطرهم ؟ بل ما اخبث قلبهم. فاحتدموا غيظاً على رئيسها الاب ليونرد النبيل وقالوا له أأنت إمام الجمعية الفرنساوية ههنا. انهض عاجلا واتبعنا. فقام من ساعته وتبعهم

اما رفعة بن الشيخ افندي وغيره فأسرّوا الى ممدوح وزملائه ان عند الكبوشيين والسريان الكاثليكيين اخوية يسمونها اخوية الدم غايتها التأهب لسفك دماء المسلمين. تأمل يا هذا واحكم[1] فأمرت لجنة التحقيق بالتفتيش عنهم والقبض عليهم دون تريث فادى الجنود تلك الخدمة على احسن ما يرام

وصباح الاثنين اوفدت اللجنة شرذمة من الجند الى تلّ ارمن لالقاء القبض على وجهائها كي تستفسر منهم عن الضبطة الشيطانية الملفقة القائلة ان سركيس احضر الى كنيسة الارمن عاردين خمساً وعشرين بندقية وخمس عبوات ؟ وعاد الجند الى البلد في اصيل ذلك النهار مستصحبين القس انطون احمراني وقوماً من الوجهاء.. ولما وصلوا

(١) راجع حاشية صفحة ٨٠

الى سطح سوق الصياغ وهو احسن شارع في البلد امروا الكاهن الورع ان يجثو على ركبتيه ويبسط ذراعيه ويسير هكذا راكعاً ثم ألقوا قلنسوته الى الارض وامروه ان يضرسها باسنانه ويمشي ففعل ذلك مصطبراً وهم يقهقهون ويزأطون ويشتمون ويشمتون..

يا شامتاً بمنيتي ان المنية لم تفت
فلربما انقلب الشماتُ فحل بالقوم الشمت

ومما يستحق الذكر ان سعيداً قره كله السرياني الكاثليكي شخص صباح السبت الى كنيسة مريم العذراء وحضر القداس واعترف وتناول القربان بخشوع. وكان يدق على صدره باكياً ثم استودع اموره الى العناية الالهية وخرج الى بيته ووقف عند الباب وكان كلما مر الجنود بداره استدعاهم وقال لهم هل اسمي مرقوم في دفتركم. وظلّ كذلك حتى يوم الاحد فاستاقوه الى الثكنة واضافوه الى سائر رفقائه المسيحيين

وبلغنا كذلك ان الياس بن توما شيطو الشاب النجيب المهجة سار الى دار الحكومة ودفع نصف بدله ولما خرج استلمه البواب واحدره الى السجن مكافأة له على المبلغ الذي دفعه

ويوم الاثنين سابع حزيران تبادر الى ظن لجنة الاشرار انهم ان قبضوا على جمهور المسيحيين حصل هيجان في البلد افضى الى ما لا تحمد عواقبه. ومن ثم فاستدراكاً للمسألة ارتأوا ان يطلقوا سراح جماعة السريان القديم ليطمئنوا الافكار ويقصروا عملهم الخبيث على الكاثليكيين فقط فاستدعوا وجهاء السريان وتهددوهم بالتنكيل والقتل ان ابوا دفع ما عندهم من الاسلحة الى الحكومة

فأكدوا لهم ان ليس عندهم شيء مما يتوهمون . فأسرّوا اليهم ان يؤدوا مبلغاً للحكومة فتطلقهم فوعدوهم ببذل كل ما يفرضونه وخرجوا من السجن بلميفهم يدعون للدولة . وغاب على ظن السيد جبرائيل مطران السريان الكاثليك ان اللجنة ستطلق ابناء جماعته (*) اطلقت اليعاقبة فرفع عريضة الى ممدوح وزملائه يستمنحهم العفو فلم يكترثوا لطلبه فالحف في السؤال والحّ في الاسترحام واستعمل كل الوسائل فلم يجبه احد لا سلباً ولا ايجاباً. فتواجد الحبر الغيور وعليه البكاء وبات متحيراً في امره

وما صنعه السيد جبرائيل صنعه المستر اندرس المرسل الاميركي في شأن ابناء جماعته المسجونين فكان مثاله مثل السيد جبرائيل فلزم غرفته ولم يتجرأ ان يعارض اللجنة بتة

واتفق ان عاد في تلك الليلة الى البلد حلمي بك المتصرّف فاجتمع باللجنة وتصدى للمحاماة عن المسيحيين فلم يُعره احد منهم أذناً صاغية فراجع الوالي في الامر فأتاه الجواب بعزله حالاً . وفوضت الامور الى خليل اديب رئيس الجزاء حليف الخونة الاغرار

ويوم الثلاثاء اذ كان جرجس مطران السريان اليعاقبة والياس دولباني قسهم وجماعة من وجهائهم في دار الحكومة قرع ناقوسهم فابتدروا الى الكنيسة صغارهم وكبارهم فاستخبرهم الكاثليك عن السبب فقالوا : علمنا ان الحكومة مرسلة الجنود ليكبسوا الارمن[1]

(*) من الغرائب ان يعاقبة ماردين لا يستعرفون الكاثليك سواء كانوا ارمناً او سرياناً او كلداناً الا باسم ارمن او مقلوبين حتى انهم يسمّون دير مار افرام السريانيّ دير الارمن . ذلك لاتفاق الطوائف الثلاث في مسائل المعتقد والشرع البيعيّ واختلافهم في الحساب الغريغوري

في دورهم ويفتكوا بهم . وبناء عليه رأينا ان نسارع الى الكنيسة لئلا يُقضى على اليابس والطريّ ويعاقب المجرم والبري على حد سوى. وهم كذلك اذا بمطرانهم وحاشيته قد رجعوا فأمروهم ان يعودوا الى بيوتهم دون توقف فعادوا

وبعد ان خرج رجال اليعاقبة من السجن شاكرين للحكومة داعين لها بالنصر راح اقطاب الشر ينزلون العذابات بالرجال الكاثليك فوافوا يوم الاثنين بعد الغروب بساعتين الخناجر في اوساطهم والعصي والسياط بيديهم واستدعوا نعوم جنانجي وعقلوا قدميه بالعقلة (الفلق) وضربوه اثنتين وثمانين ضربة فتجلد عليها صابرا ثم اضطروه ان يمشي وما وصلوا به الى راس سطح السجن حتى دفعوه الى اسفل فتحطمت اعضاؤه فنهض المسيحيون الموجودون داخلاً وحملوه وجعلوا يسلّونه ويعزونه

ثم نادوا انطون كسبو الى منقع العذاب فقال له ممدوح: كنت تحاول يا انطون الخبيث ان تضبط البلد وتستحوذ على املاك المسلمين ودورهم وتستولي على بساتينهم وحقولهم . فهلم أعطك رغائبك . قال هذا وامر نوري البدليسي فعقله وصفعه اربعين ضربة بنيف . فسألهم ان يعفوا عنه فيدفع لهم مهما طلبوا من المبالغ . فقال له ممدوح لسنا بمفتقرين الى دراهمك لكننا نرمي الى السلاح المخفيّ عندك . اما اموالك واملاكك وارزاقك كلها فبقيت في حوزتنا نتصرّف بها كما نحب ونهوى . فان احضرت السلاح نجوت والا هلكت انت وعشيرتك . ثم ان رئيس الجزاء قال له اخطر ببالك يا انطون يوم وافى الى مخزنك خضرجابي ليشتري جوخاً فقلت له .

هذا الجوخ لا يصلح لك يا خضر . اعلم ان خضر جلبي كان يريد مشترى ذلك الجوخ ليلبسه العسكر الخمسيني الازمع ان ياخذ روحك . ثم ضربوه ضرباً وجيعاً على راسه وظهره واخرجوه فطرحوه الى اسفل كنعوم جانجي ثم جعلوه في المرحاض سبع ساعات يقولون احسب المرحاض كمخزنك ثم اختلى به نوري البدليسي وجعل يلاطفه ويستخبره عن كمية ثروته ويعده باطلاق سبيله . وقبل فجر الثلاثا ٨ حزيران سار اليه البدليسي تكرارا وقال له قد فاوضت جمعية الاصلاح « الجهنمية » في امرك فقالوا انك لن تنجو من السجن إلم تدفع لهم السلاح . ثم انقلب كأسود سالخ وثم يضربه ويزيده ألماً وينتف شاربيه . فكان انطون يعاتبه ويقول : أهذه نتيجة المحبة والصداقة ثم تركه البدليسي وانصرف وظل انطون يتعذب ويتألم .

وليلة الاربعا ٨ حزيران استحضروا عبد الكريم باطري الارمني من الشكنة واعتقلوا قدميه وضربوه ١٥٠ ضربة وكانوا يعدون الضربات تشفياً ثم اخرجوه وقذفوا به الى اسفل . واستدعوا بعده مال‌الله شقيق السيد اغناطيوس مالويان وانزلوا به الضربات الشتى يلحّون عليه في استحضار الاسلحة . ثم انتدبوا سعيد عشو البرتستاني واضطروه الى الاقرار باسماء المشتركين في الجمعية الارمنية . فقال لهم ان الجمعية ما انتظمت الا بمعرفة الحكومة وكان رجالها يحضرونها . فلم يغن قوله فتيلا فضربوه ضرباً عنيفاً بالعصي والمقارع ثم جروه كرفاقه والقوه من السطح الى اسفل . فانكسر ظهره وتضعضعت اعضاؤه

ثم استدعوا اسكندر آدم واستنطقوه سرًّا فظل صامتاً . فعلّقوا حبلًا ضخماً في سقف الغرفة الجهنمية وأوثقوا قدميه فغدا راسه منكوساً وضربوه ضربات شتى اينما كان وتركوه كذلك بضع ساعات طبقاً لامر ممدوح . فلما ازداد المه ووجعه انتدب نوري البدليسي ووعده بمبلغ فحل وثاقه ونزل به الى السجن وقبض من شقيق ابنه مبلغاً . وقبل الفجر وافى اليه فارجعه الى الغرفة واوثقه حتى يراه ممدوح حين عودته كما تركه

وصباح الاربعاء تاسع حزيران وافى ممدوح وطلعة بن عبدي افندي فقال طلعة . اعلموا يانصارى انكم اولاد حماره . ثم قال لاسكندر آدم أما تذكر يا اسكندر يوم لطمك والدي عبدي في القيصرية . أتريد الك حرّية . خذ لك خرية . . قال هذا وطفق يضربه ويلطمه حتى تعبت يداه الاثيمتان . ثم قال مستهزئاً مُر ابنك غسطو عضو الادارة ليبادر وينقذك

وعند الظهيرة استدعوا سعيد ابن الوزير وطفقوا يضربونه اوجع الضرب وبلغ بهم النفاق الى ان صبوا عليه البترول وحرقوه ففاضت روحه بيد الرب العادل

ثم استدعوا الاب ليونرد الكبوشي واحتفوا به وجعلوا يلطمونه وينتفون لحيته ثم جلفوا اظفاره عن اصابعه وعلقوه منكوساً زهاء ساعتين وتناوبوا في ضربه بالسياط والعصي ثم اخرجوه ودعوه دعّاً الى أسفل . وكانوا يقولون اه . ادعُ فرنسا لتستعجل في انقاذك من يدنا . صِح بالراهبة لتاتي وتسليك . انتدب اصحابك ليخلصوك اما الاب الوديع فلزم السكوت مستودعاً امره بيد ربه . ثم احضروا

المقدسي حبيب دي جروه السرياني . وقالو اله اما تخطر ببالك يا حبيب يوم أذعت على لسان النصارى اصحابك ان الروس عما قليل يصلون الى ماردين وينقذونكم من ايـدي المسلمين . اكتب لهم اذًا واستعجلهم على القدوم يا مغرور . فقد ساء ظنك وخاب املك ولم يبق من عمرك سوى القليل . ثم ضربوه ولطموه وعادوا به الى محله

على هذا الاسلوب عذبوا الوجهاء والشرفاء وفيما ذكرناه كفاية لمن شاء الوقوف على الوان العذابات وهمجية الكفرة القساة

واصيل الاربعاء اقبل صالح البوليس الى السجن وفي يده جدول الاسماء فأمر المسجونين فخرجوا خارجاً وجعل يقرأ اسم واحد فواحد ويرده الى محله فقرأ تسعة وخمسين اسماً ولم يقرأ اسم بولس بن رزق الله شوحا النجيب المهجة [1] فاستفسره عن اسمه وكتبه في الورقة وانصرف وما توقف ان وافى اثنان وقبضا على رقبته وذهبا به الى مقام جمعية الاستنطاق المؤلفة من بكباش الجاندرمة ونوري البدليسي ومدير البوليس وممدوح والقومسير . فاستطلعه المدير عن اسمه واسم عائلته ومولده وملته . ثم قال له اتعرف التركية

ـ نعم

ـ اين تعلمتها

ـ في المكتب العثماني السلطاني التركي بدياربكر

ـ مذ كم يوم انت مسجون

ـ مذ خمسة عشر يوماً وعند ذاك ابلسته الخشية واخرسته حتى غاب

(١) عن هذا الشاب وعن جرجس حكيم وجرجس حنجو وغيرهم ممن كان في السجن نقلنا ما سبق من ماجريات العذاب

عن حسه . فأمهلوه هنيهة ريثما افاق . وكان سبب ارتعاشه نطقه بخلاف الواقع اذ كان قد أُلقي عليه القبض يوم السبت خامس حزيران فلم يستصوب ان يفيد المدير عن اليوم المرقوم لئلا يضيفه الى البقية

ثم قال له المدير اذا سجنت . أانت مجرم وما ذنبك

ـ سجنت لاني مسكاري وعمري تسعة عشر عاماً فبدل ان يضموا بي الى القلعة مع رفاقي تركوني نسياً منسياً حتى اليوم

اما ممدوح فتناول جدول الاسماء العمومي وجعل يقلبه ويتصفحه حتى قال ارى يا بولس شرحاً على اسمك مفاده انك كنت كاتباً في الجمعية الهنجكيانية بماردين

ـ في اي زمان

ـ عام اول

ـ اني كنت اذ ذاك تلميذاً في المكتب السلطاني بدياربكر . فاذا احببت الاطلاع على صفاتي واخلاقي سل شكري بك مدير المكتب وهو اليوم بماردين يفدك عني وزد عليه ان ما في يدي من الشهادات يُؤيد براءة ساحتي من هذه الجمعية اذ كنت مثابراً على دروسي لا فرصة لي للاشتغال في امور خارجية لا تهمني

فتبسم مدير البوليس وامر الجند ان يُرجعوا بولس الى محله . وعند الغروب استدعاه احدهم وقال له هلمّ اغراضك والحقني . فذهب به الى مقام الشعبة العسكرية فأمره الرئيس بالسير الى القلعة وما كاد يدخلها حتى راى الجنود حاملين الحبال والسلاسل والقيود منحدرين الى الثكنة والسجن . فبات ليلته في القلعة . واستحصلت والدته في الغد الوثيقة فنزل واستاجر دابة حملها قمحاً وارسلها مع

رجل منصوراتي وبادر الى بيته واختفى خمسة عشر يوماً تحت الارض لا يبصر نوراً حتى هدئت نيران الثورة قليلاً فخرج

الفصل الخامس

السيد اغناطيوس يُحاكم ويعذب ويسجن

ما وصل ممدوح وصاحباه الى دار الحكومة على ما وصفنا حتى تألف المجلس وتألب دعاة النفاق وارسلوا في استدعاء السيد اغناطيوس رئيس اساقفة الارمن الى المحكمة . فقام من ساعته وتبع الجنود. ولما دخل الردهة الفى الهيئة مستوين على الكراسي يتجهمونه ويزلقونه بابصارهم ولم يمكنوه من الجلوس كامس وما قبل فتحققت لديه الخيانة والدسيسة واطرق ساكتاً لا ينطق حرفاً ولا يرفع طرفاً فبدأوا يناقشونه ويطارحونه الاسئلة في امر البواريد والمدافع والاسلحة المزعومة واوردوا له الاسانيد التي اعتمدوا عليها تاييداً لما توهموا . فانكر عليهم الحبر الجليل مقالتهم بتاتاً وقال لهم : ان ما بلغكم عني وعن جماعتي إفك محض فان صدقتموه واعتقدتموه فينا فما جرى على غيرنا يجري علينا . والا فعلى ما ياوح لي انكم تريدون لنا السوء عن غير علة . ذلك لمن اعجب الامور واغربها

فالحّوا على المطران باستخراج المدافع وتسليمها لهم . فقال قلتُ واقول هوذا الكنيسة ودار المطرنة وغرف الكهنة ودور وجهاء الطائفة فتشوا ودققوا ما استطعتم عمقوا وحققوا جهدكم فاذا عثرتم فيها على شيء مما ادعيتم فلكم ان تنزلوا بي وبجماعتي وبكلّ من ينتمي الي اغلظ النكال وافظع العذاب والا فما بالكم تتقولون

الاباطيل وتناقضون الحق اليقين حال كونكم لا تجدون لنا جرماً ولا ذنباً كبيراً او صغيراً

وما اتمّ المطران الشجاع كلامه حتى فار فائر الحضور ونبض عرق الغضب بين عينيهم وطفقوا يضجون ويصفرون ويقولون بل عندك اسلحة تحاول ان تناصب الحكومة وتناوئها . ولكن تربث فسترى عقابك وعقاب جماعتك تجاه عينك

قال لهم المطران الباسل دعواكم هذه فرية بلا مرية فاني لم اخالف الدولة في شي البتة بل دافعت وادافع عن حقوقها سراً وجهرة واحامي عن صوالحها قدر الطاقة لاني منتم اليها وقد حصلت على الفرمان الشاهاني والنوط العثماني من فضلها

قال له ممدوح اعلم يا هذا انك طبقاً لشهادة سركيس ابن طائفتك قد استحضرت صندوقي اسلحة الى كنيستك . ثم اخرج مضبطة[1] من جيبه ونشرها يقرا فيها ان سركيس احضر الصندوقين الى غرفة المطران اذ كان الوجهاء والاعيان حاضرين فتناولوهما شاكرين لسركيس مثنين على همته . ثم تلا عليه اسماء الشهود المرقومة في تلك المضبطة المزعومة كدرويش بن خضر افندي مدير تل ارمن وعبد الرحمن القواس ومحمود عبدالو ونجيم مدير بنك الزراعة وغيرهم

فدهش الحبر النبيل وتعجب وقال للحضور علي بسركيس والا فالمضبطة مزورة وتقولاتكم مرجّمة . اما هم فأعاروا لمحاماته عن

(١) هي المضبطة التي استنبطها دعاة الشر وكتبوها في تل ارمن وروى لنا غير واحد ان منطوقها كان يريد ان سركيس حمل الى كنيسة الارمن خمساً وعشرين بندقية وخمس جبوات

نفسه وعن طائفته اذا صما اذ كانوا قد سبقوا فتذكروا بسركيس . وجعلوا يتبصرون في تضاعيف جوابه لعلهم يصيبون منه فلتة او هفوة التمثيل به

فقال له خليل اديب وكيل المتصرف اعلم انه لما وافى اليك سركيس بالاسلحة وجد في غرفتك زعماء طائفتك الخونة كنعوم جانجي واسكندر آدم وانطون كسبو واخيك مالي فاستلمتم منه الصندوقين ودفع له كل منكم ليرتين . فما لك اذاً تخابط في الكلام وتخفي عنا الحقيقة

قال المطران البار . يا للغرابة قلتُ واقول لكم انكم لفي غرور فان هذه الدعوى ملوية معمسة لا اصل لها البتة

فاطرق ممدوح هنيهة ثم استتلى يحتج على المطران بانه كان إماما وقائداً للجمعية الفداوية يحرّض الجميع على الاشتراك فيها ويذبّ عن حقوقها ويثير الشعب لشترى الاسلحة والمناضلة والدفاع وقت الشـدة

فصرح له الراعي الامين بانه كان يناقض تلك الجمعية كل المناقضة خفية وجهرة ونوّه له بذكر الرسالة التي وجدت بين اوراق السيد اندرياس مطران الارمن بدياربكر وفيها يصرح السيد اغناطيوس باجلى بيان افكاره المخالفة لتلك الجمعية كل المخالفة

بيد ان براهين المطران الساطعة القاطعة لم تكن لتقنع الحضور وتصرفهم عن كيدهم او تكسرهم عن مرادهم اذ كانوا قد عجمجوا بالضغينة وتالأوا على الفتك وما ابطأ ممدوح ان نهض من كرسيه وشمر اضربه فقال للجنود الواقفين اسطحوه فسطحوه للحال

في صحن القاعة فتناول الخيزرة ليصفعه

فقال له المطران البطل . مكانك يا رجل لا تتعدَّ طورك فانه لا حق لك ان تجري معاملة كذا اعتدائية بمن استعرفته الدولـة العلية بمثابة احد الائمة وانعمت عليه بنوط الشرف والفرمان

قال ممدوح مستهزئاً : السيف يسد اليوم مسد الدولة وفرمانك لا يغني فتيلاً ونوطك لا ينفع شيئاً

فقاطعه احد الحضور وقـال المطران لا بدَّ من التنكيل بك وبجماعتك فان ما ابديت من الحجج باطل لا سند له . بيد اني دلالة على محبتي لك وشفقة على حالك ابذل لك نصيحة ان عملت بهـا نجوت من الموت وبقيت معززاً مكرماً محترماً في اعين جميعنا . وإنْ تلك النصيحة الا المجاهرة بالاسلامية والمناداة بالهيللة

قال المطران برباطة جأش . الاسلامية ؟ كلا معاذ الله ان اهجر ديني . هيهات هيهات ان اجحد مخلصي . انى يُتـاح لي ذلك انا الذي ربيت في حجر البيعـة الكاثليكية المقدسة ورضعت افاويق تعاليمها الصافية وتضلعت من حقائقها الراهنة حتى غدوت دون استحقاق احد رعاتها . اني احب سفـك دمي في سبيل ايماني اشهى شيءٍ لقلبي لاني عارف حق المعرفة اني اذا عُذبتُ حباً لمن مات لاجـلي غدوت من السعداء المغبوطين وفزتُ برؤية ربي والهي في عليين . فما لكم اذن الا ان توسعوني ضرباً وتعملوا في الخناجر والسيوف والبنادق وتقطعوني ارباً إرباً فاني لن اجحد ديني اصلاً وقطعاً

فما كان من القوم الا ان ضجوا واشمعطوا وحوقلوا وتشهدوا وحملقوا في الراعي ابصارهم واطبق احدهم كفه ولطمه قائلاً :

اهكذا تستحقر ديننا في المكان الرسمي . والله اني لاعذبنك اشد العذاب واذيقنك الموت الزؤام . ثم ضربه ممدوح ضربات معدودة وامر الجنود ان يذهبوا به الى مكان الضرب والعذاب . فكأنّ المطران تنهد عند ذاك وقال « اني اكابد في جسدي عذاب الضرب الاليم واما في نفسي فاني احتمل ذلك مسرورًا [٢ مقا ٥]

وعند الليل اقبل نوري بن زلفو البدليسي في الهيئة المذكورة آنفًا الى حيث كان الحبر الوديع فسدحه على الارض والقى العقالة في قدميه وضربه اثنتي عشرة ضربة .كان الحبر عند كل ضربة يصيح باعلى صوته ويقول « يارب ارحمني » ثم امروه ان ينهض ويذهب الى المحل المعين له . لكن الراعي لوهن قوته لم يستطع الى السير سبيلًا فسحبه اولئك الاوغاد من قدميه على الحضيض سحبًا عنيفًا فترضضت هامته المباركة وانخلعت اعضاؤه المقدسة فنادى يقول « من يسمع صوتي فليعطني الحلة الاخيرة » فسمعه القس بولس سنيور وكان بالقرب من الشباك التحتاني وتلا على المطران صورة الحلة

اما الجناة فتركوا المطران ملقى على الارض جثة هامدة وراحوا يستحضرون آلات العذاب ثم سارعوا اليه فجلفوا اظفاره عن اصابع رجليه واشفقوا على يديه لئلا يراها احد .وظل على تلك الصورة من صباح رابع حزيران الى العاشر منه يولبه اصحاب الذمة والمروءة والشفقة ويعذبونه . وكان يرى ابناء جماعته معذبين ويسمع نحيبهم وعويلهم فيبعث في افئدتهم روح البسالة والشجاعة وينشطهم ليقتحموا الاخطار ويجودوا بالحياة القصيرة اسوة بن ضحى لاجلهم بحياته الثمينة على خشبة العار

ومما بلغنا عن هذا الحبر المذكور في الخبر انه لم يحفل ولم يتزعزع وقتًا كان يحف به الاوباش ويهزون رووسهم ويشاتمونه ويبصقون عليه ويسخرون منه واكدوا لنا ان احدهم قال له اخطر ببالك يوم عارضت الحكومة واحتججت عليها في مسئلة تلك النصرانية التي كانت تروم ان تهتدي وتدخل في الدين المحمدي . اذكر يوم كنت تركب حصانك وتوافي الى دار الحكومة متغطرسًا متبخترًا . فقد حان لك الان ان تفتخر وتتباهى . فان ايام حياتك وحياة جماعتك امست معدودة(١)

وما برح المطران الغيور يقضي ليالي السود في السجن باسطًا ذراعيه ورافعًا عينيه الى السماء يصلي ويبتهل الى الله ليخوله القوة والعضد له ولجماعته كأنه سبستيانس البطل فيقول : « اللهم انك انت الذي سمحت ببدء هذا العمل واليك مرجعه وبك منوط تتميمه . الا اظهر قدرتك فاننا في حاجة اليها . وانعم علينا بحولك في هذه الآونة الحرجة فانا ضعفاء جبناء . امنن علينا ان نكون من انصار دينك الذابين عنه المناضلين عن حقوقه . دعني انا عبدك الذليل ان اشهر سلاح صليبك المظفر فتنهزم من امامي وامام جماعتي المحبوبة ارواح الابالسة وتتدهدى في البلاليع الجهنمية . انلنا البسالة والنجاة واحظنا برؤية محياك فانك على كل شيء قدير »

ومما يفطر القلب ويجرح الفؤاد ان والدة هذا الحبر العجوز البائسة كانت تروم ان تشاهده فلا يتيسر لها . غير انه ليلة استياقه مع

(١) من جرجس باهي حكيم وغيره اذ كانوا موجودين في السجن

الى قلوب جميعهم وقد ازدحموا ازدحاماً بحيث لم يعودوا يملكون شدا ولا ارخاء ويتعذر عليهم الانتقال من موضعهم تكاد حيطان الشكنة تميد مرتجة من كثرة الضغط . كأن بيد كل منهم كأساً يشرأب ان يتحساها ويرتشفها . هوذا القسان يطوفون بينهم ويرفون فوق هاماتهم كأرواح ملائكية يشجعونهم ويبثون في نفوسهم شواعر الحماسة الدينية وينشطونهم لقبول الاهوال والخوض في عباب الحرب والقتال . اراهم يتناوبون بالحضور الى الكهنة يخر كل منهم عند قدميه يقر باثامه ويندم على جرائره طالباً الحل والمغفرة سائلا الصلاة والبركة

ها قد فتح الباب وأخرج منه شيخ وقور لعب البياض براسه . الى اين يمضون به يا ترى . الى محكمة بيلاطس وهيرودس

قل يانصراني اين السلاح . قل ياخائن اين المدافع والقنابل

يالله اي سلاح اي مدافع . لا علم لي . هذا إفك محض . نفاق بحت قولوا انكم متشورون على قتلي

اذا كان الامر كذلك يلزمك ان تؤدي مبلغا كذا عقوبة لجسارتك وجوابك او تنكر دينك

معاذ الله ان اكفر بديني ولو ذقتُ الموت الاحمر . اني اوثر خسارة كل مالي وملكي على انكار ديني

يا للصفاقة . اسطحوه اضربوه انزلوه الى السجن

ولكن صححوا دعواكم بنير الحجج فأقبل عقابكم بالطوع

الدعوى صحيحة وانت كذاب خراص

اين الشهود

لا حاجة اليهم نحن شهود

اذهبوا الى داري فتشوها

لسنا خدمة لك هات السلاح والا قتلناك

ها هوذا قد خرجوا به وانزلوه الى السجن واغلقوا عليه

اليك شبالي الشكنة كبراء الحكومة والمنصبين وغيرهم ممن لا اشغولة لهم قد رتبوا الكراسي ونضدوا المقاعد وتربعوا فيها او خالفوا ركبتيهم . يتعاطون اقداح القهوة وبين يديهم النارجيلات . كلٌ يهزُ راسه مستهزئاً ويضحك ضحكا حثيثا ويشمخ بانفه متبجحا بينهم شيوخ اعتجزوا بالعمامات يقلبون طرفهم يمنا وشمالاً . يصعدونه ويصوبونه في النساء الكئيبات كأنهم في روضة يحبرون وفي قلبهم مراجل حقد وانتقام . يتوكفون الاخبار ويتجسونها وتتلاعب في مخيلتهم هواجس فاسدة شريرة يحاولون مشاهدة عدوهم ليرقعوا به عاجلا اسمهم يعجون ويضجون ويقول هذا لذاك ليبتدر النصارى الى السجن وليسارع المأمورون الى تعذيبهم وسوقهم وقتلهم

هوذا احد الوجهاء قد لمح امرأة كان يود منذ امد طويل لو يرى جمالها ليبثها بما في صدره من الوجد والغرام فيستغويها . قد قام من موضعه ونزل مهرولاً يخطر بيديه ليصل اليها . أرى عيون اصحابه مبثوثة نحوه وهم يتغامزون ويترصدونه ليعرفوا الى اين يمضي ومن يحادث . فلما وصل الى السيدة الشريفة قال لها

مكانك ياسيدتي مكانك ما لك حضرت على هذه الصورة الى هذا المحل

— قصدت مشاهدة قريني وابني

— لا تضطربي عما قليل يؤخذ اقرارهما ويُخلى سبيلهما

— بيد ان وجودهما في موضع كذا لا يدع لي مجالاً للريب في انهما سيعذبان ويقتلان

— هيه . ليس الامر كما تزعمين فانــه لا جرم لهما . سكني جأشك ولا تقلقي . وهي انهما يساقان الى دياربكر مع اصحابهما فانهما سيعودان اليك دون تربث

— اراكِ تأتيني باخبار معمسات وحكايات ملويات وتاتيني بكلمات لا نصيب لها من الصحة . والا فانزع الغلّ من صدرك واوضح لي الحقيقة على جليتها

— قلت لك لا ذنب لهما فسيعودان . اذن لا توجلي ولا تتشعبك الهموم لئلا تضعف قواكِ . فاني اخاف عليكِ . . . ولكن مــا لحياك قد تبدل وتغير اني بعد يومين اوافي اليك وارطب قلبك واسليكِ

— خلّني يا صاح وشاني وعليك شانك

غير ان صاحبنا حاول ان يكاشف المراة بوجده ويباحثها بوده في ذاك الوقت عينه ولكنه صبّر النفس الامارة فراح يضمر عليهــا نية اثيمة وينتهز الفرصة ليقترن بها سفاحا

ثم عاد الى محله واستوى على كرسيه مفتكرًا في ايجاد الطرق للفوز باربه فجعل اولئك القوم يطارحونه الاسئلة ليتحققوا اسم المراة فلم ينبس بحلوة ولا مرّة

تبًّا لك ياهذا يامن اعمى الهوى قلبه وخسّره رشده اعلم ان الجنة أزلفت للمتّقين وبُرّزت الجحيم للغاوين [سورة الشعراء] فــان

بطش ربك لشديد

اما المرأة المسكينة فسارت بعد هذا الى الشكنة مضحية بالشرف والاعتبار حبًا لقرينها وفلذة كبدها . ولما شارفتها تصدى لها البواب متنمّرًا وحرّج عليها رؤيتهما . وازلقها ببصره النجس فالفى ان الحياء قد صبغ محياها الوضّاح فاسهب في الحديث كلفاً بها وفاته انها امراة حصينة كالغراب الاعصم لا ينالها عدوها الفاجر مهما جدّ واجتهــد ثم اخذ منها الفداء على ان يوصله الى ابنها وقرينها[1] . فعادت المراة الى بيتها مكسورة القلب

ولما كانت راجعة لمحهــا صاحب زوجها المزبور فلم يتالك ان يدع كرسيه ويودّع صحبه ويتابع المرأة الحازمة ليشبع من جمالهــا حتى اذا ادنا منها جعل يلاطفها تكرارا ويعدها مواعد عرقوب بنجاة بعلهــا وهو منتظر خروج زوجها من الشكنة مترصد قتله ليحوز بغيته . ثم سلك يده في جيبه كأنه يريــد ان يعطيها شيئاً تودداً اليها فانهزمت من بين يديه وعادت الى بيتهــا حزينة قاطعة الامل من مشاهدة زوجها ونجلها

واذ كانت هذه المرأة الكئيبة راجعة سمعت اثنين يتخاطبان . فقال الاول الامَ انتهى امر النصارى الكفار المسجونين فقــال له صاحبه الى ما احب وتحبّ انت . فانه لا بد من استياقهم سحرًا فاذهب اعدّ لوازمك وانا ابقى محلك لعلي اقع على شيء مما نرغب فتجددت آلام المسكينة ولسان حالها يقول :

1 اكد لنا غير واحد ان الفداء ما كان يصل الى صاحبه لا عاجلاً بالتراب او ممزوجاً بالبصاق وغيره

لا مرحباً بغدٍ ولا اهـلاً به • ان كان تفريق الاحبة في غدِ

ثم استودعت امورها الى ربها ومولاها مصطبرة وكثيرا مـا ردّدت بمخيلتها ما قيل :

يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحباً   ولو ظفروا بي ساعـة قتلوني (١)

الفصل السابع

سوق القافلة الاولى او مذبحة الاربعمائة والسبعة عشر شهيدا

كانت ليلة الخميس عاشر حزيران ليلة عصيبة مشؤومة نعق فيهـا بوم البين والخراب فوق بيوت المسيحيين فـهدوا سهادا ولم يعطوا جفونهم وسناً . واصلوا البكاء والندب . واستحوذ عليهم الهلع وشملتهم الحيرة واحتفت بهم فنون البلاء والشقاء ... رجع بعض النساء من السجن على ما وصفنا وهن حواد حفاة . واجتمعت كلّ منهن بمن بقي في بيتها واخذت تسكب الدموع السخينة على آلها حتى احذل البكاء عينيها وقرح جفنيها

فكنت ترى في تلك الليلة السوداء التاعسة جنود الظلمة صاعدين الى القلعة ونازلين مهرولين حاملين اغـلال الحديد والحبال الضخمة والزناجير الى السجن والشكنة . فكانوا يدعون زوجاً زوجاً ويربطونهم ربطاً محكماً لئلا يفرّوا من بين يديهم . يا للخبث واللآمة ! . ثم افرزوا منهم الذين كانوا منضمين الى الجمعيـة الارمنية المزعومة وكبلوا رقابهم بالاغلال وأوثقوا معاصمهم بالسلاسل . وتشاغل الخصوم بالربط والشد والفل حتى الهزيع الاخير من الليل . كذئاب هجمت على

(١) ما اوردناه في هذا الفصل هو حادث حقيقي حرّجت علينا السيدة التي نقلته ان نورد اسمها

خراف او بواشق انقضت على حمام او نمورة نشبت براثنها بفريستها

وبعـد ان رتبوهم زوجاً زوجا اخرجوهم من باب السجن والشكنة وتكوكبوا عليهم من كل صوب مشهرين فوقهم الاسلحة والسيوف وامروهم ان يلزموا الصمت التـام . وبعثوا من فورهم مناديا ينادي في المدينة • من مِن النصارى خرج من داره مُثل به وأُضيف الى اصحابه • فساروا في الجـادة العمومية غلس الخميس وعددهم اربعمائة وسبعـة عشر من اقليرس وشيوخ وشبان ارمن وسريان وكلدان وبرتستان ولما مروا في حي المسلمين خرج نساؤهم النقرى يصخبن جذلات ويعيّرن المسيحيين مستهزئات ويبرقن ويرعدن عليهم بالويلات وكان الاولاد يرجمونهم بالحجارة ويسخرون بهم باعلى اصواتهم . ولما وصلوا بهم الى حي النصارى حجروا عليهم الخروج من بيوتهم فضـلاً عن ان يتفاوضوا معهم او يودّعوهم . فظل المسيحيون لازمين بيوتهم واقفين عنـد سترة السطح يبكون ويعولون ويضجون بالابتهال الى الله ليخفف عنهم وطـأة اعداء الدين وينتصف لهم من الظـالمين . وكان قوم منهم يلحظونهم من النوافذ يريدون البلوغ اليهم فلا يتيسر لهم . فكانوا كمريم العذراء ترافق ابنها الحبيب الى الجلجاة . تشكو ظلم اليهود واعتداءهم على وحيدها البري

اما المسيحيون فكانوا يسيرون صامتين كطلبة قاصدين المدرسة او بالحري نظـير فاديهم وربهم المحبوب لا يُسمع لهم صوت ولا تحمحة كأن على رؤوسهم الطير . ولما وصلوا الى باب البلد الغربي خرج كل من الرهبان الافرامين والمرسلين الاميركيين الى سطحي معهديهم

لينظروا اصحابهم النظرة الاخـيرة ويقراوا عليهم آيات الوداع . فالفوهم والحق يقال في حال كئيبة مرعبة تجمد الدماء في العروق وتلقي الرعشة في الابدان . والوعتاه ! لعمري انه لا اصعب للعين ولا اوجع للقلب من الوقوف في ذينك السطحين والنظر الى جمهور المسيحيين الموثقين فان المرء كلما حصل في احدهما والقى بصره عـلى تلك الجـادة المنحوسة خطرت بباله مشية المطران النبيل والكهنة الاجلاء والمسيحيين الاعزاء وتذكر حالتهم المؤثرة فتجددت جراح فواده وتنغصت عليه حياته فقال من ساعته :

الفصل الثامن

وقفة على سطح دير مار افرام

على رسلكم يا ليوث الحماسة وصناديد الشهامة رويدكم يا ابطال السيد المسيح وبسلاء الدين القويم الصحيح . فاني اريـد ان اشبع ناظري من مشاهدتكم الحلوة واتلو عليكم كلمة الوداع الاخيرة

الوداع اذاً ياحبر الكنيسة الجامعة ياسميّ اغناطيوس النوراني البطريرك الانطاكي فقـد ماثلته بشجاعتك وستحاكيه عما قليل باستشهادك . وكأني بك تقول لجماعتك السائرة امامك : اني لست اشاء البتة ان يعارضني احد في نيل اكليل الانتصار بل احبّ ان يوافقني الجميع في قبول النكال . لاني راغب كل الرغبة ان نموت جميعاً حباً لمن مات من اجلنا وقضى على الصليب تشجيعاً لنا .

الوداع ايها الاقسة الابرار والشمامسة الاطهار . الوداع يا اجاويد القوم وخيارهم فانكم حاكيتم قسوس البيعة الاولين وشمامستها المشهورين

واتمها المعظمين

لكن ما لي ارى الاوغاد قد قرنوا ايديكم في الاصفـاد . ما بال رقابكم تنوء تحت ثقل الاغلال وقد اكتنفكم قومٌ من السفلة الانذال . اراكم مربوطين رباع وخماس وخصومكم يضربون اخماساً لاسداس . عما قليل تفوزون بغايتكم وتحوزون جلّ رغبتكم وتشاهدون وجه ربكم فطوبى والف طوبى لكم . عما قليل يقضي الاعداء وطرهم وينزلون بكم سخطهم وغضبهم . ولكنهم سيلاقون ولا بدع تبعة حيفهم . وتنالون انتم جزاء ما تقاسون من جورهم

ما لي ارى الجنود قد طاروا اليكم زرافات . واكبُّوا عليكم من كل الجهات . تتوقد في قلوبهم اللئيمة جمرات العدوان وتتلاعب في مخيلتهم افكار الكفر والطغيان . ارى سيوفهم محدّدة وقسيهم موتّرة . يحملقون فيكم الابصار ويزمجرون عليكم زمجرة الليوث الضارية على الفرائس . ليشبعوا نهمهم ويبردوا غليلهم

ارى امامهم ممدوحاً سوّد الله وجهـه مخترطاً سيف الغضب يتحبب اليكم ويسايركم ويعللكم بكلامه ويومنكم وفي قلبه تغلي مراجل البغضاء والنقمة لا خلف الله عليه ولا على تابعيه . عما قليل تلوح نياته وتنكشف خيانته عما قليل تعلن دسائسه وتنجلي ابازيره

اراهم يسوقونكم سوق الرعاة للحملان الوديعة ويقودونكم بعنف وشراسة الى المذبحة . هنيئاً لكم يا خراف السيد المسيح واولاد الايمان النير الصبيح . لله دركم يا ابناء الكنيسة الجامعة فانها تفتخر بكم وستذيع اسماءكم المباركة على مذابحها المقدسة

ارى السنتكم التقية تشتغل بمفاوضة العزة الصمدانيـة تنثي العبارات الشجية وتلهج بالمزامـير النبوية تشوقاً الى الفوز بالسعادة السرمدية

كأني بقلوبكم تبرز العواطف الحميمة تشوقاً الى التمتع بالغبطة الابدية . وبيونكم شاخصة الى عرش الحمل الذبيح محدقة بتلك الابنية الملكوتية . طيبوا نفساً فانكم عن قريب تفوزون بتلك المناظر البهيـة والمحاسن الشهية . لا بأس ان تعبتم وتوجعتم قليلاً فسترتاحون وتفرحون وتطربون وتنزهون حيث لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون

ارى فتياناً ينهبون الطريق قاصدين البلوغ اليكم ليشبعوا ابصارهم من رؤيتكم ويودعوكم . اسمعهم يصيحون قائلين : يا ابت . يا اخي . يا عمي . يا خالي . الى اين انت راحل . الى من التيتني . كيف تكون عيشتي بعدك ما سيحل بي على اثر بعدك والسني عليك يا ابتاه وآحسرتي يا اخي وآلهفتي يا آلي وآلوعتي يا عشيرتي

ذهب الـذين احبهم فعليك يا دنيا السلام
لا تذكري العيش لي فالعيش بعـدهم حرام

عرفت ان العطش اقلقكم والجوع اقحلكم فهـا هوذا نبع قريب به يتيسر لكم ان ترووا ظمأكم وتسدوا جوعكم لتقووا على السير الى حيث يشاء العدو المقيت . ولكن هيهات ان يدعكم تأكلون او تشربون

ارى عصابة من الاكراد تنسل اليكم من القرى القريبة وتتعلق عليكم وتنضم الى اعدائكم واذا بدت منكم التفـاتة عربدوا

عليكم واستفزوكم بالعصي وهزروكم بالفؤوس . اراهم مدججين بالاسلحة حاملين الهراوى الضخمة كأنما خرجوا الى لص بسيوف وعصي . . ولكن هـذه ساعتهم وهذا سلطان الظلمة [لو ٢٢] اراهم تثاروا واستكلبوا على ما عندكم من ذهب وفضة وثياب والبسة حتى فاقوا اخوانهم الابالسة بالشيطنة والبلسة . فقتلوا الوفاء والمروءة واحيوا الجفا والقسوة . يارباه بعينك تنظر ذلك وتعاين مجازاة المنافقين [مز ٩٠]

ارى الوالد وفلذة كبده مرتقين يختلسان النظر ولا يتجرأ هذا ان يحادث ذاك مخافة ان يُضرب او يُلطم او يُصفع . ارى الشقيق وشقيقه وهما في شرخ الشباب تختلج في صدريهما لواعج الحب ولا يمكنهما ان ينبسا ببنت شفة

ارى الراعي وقـادة متلهفين الى العراك متشوقين الى القتـال ليلفوا عاجلاً الى البناء . سيروا على بركة الله سيروا في حرزه وصيانته فانـه رفيقكم في شدتكم وظهيركم في بليتكم وهو متأهب للاخذ بيدكم واحقاق حقكم

ارى ما بينكم شقيقاً محبوباً اسمه يوسف احاول البلوغ اليه لاعانقه وابثه لواعجي . اود لو اتيح لي ان اتفادى الصفوف واخترق جماهير الخصوم واصل اليه فاضمه الى صدري واودعه او اخطفه من براثن البزاة الطغاة ولو تجرعت بسبب ذاك اكواب الشتائم بل كأس المنون . لاني عالم انه عما قليل سينزع عنه قميصه ويُطرح جسده في بئر عميقة ناكرة ويؤتى بذلك القميص مغموساً بدمه . فاست امزق ثيابي وان اشد المسح على حقوي ولكني انوح عليه مدة ثم ارطب

جراح قلبي واتعزى بانه صار لي شفيعاً لدى مخلصي وانضم الى طغمة الابرار في السماء

الا يا نفسي لا تنسيه حتى ... افارق عيشتي وازور رمسي
فلولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلتُ نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن ... اسلي النفس عنه بالتأسي

ففي هذه الجادة التي تقطعونها اليوم راجلين حفاة خائفين كنتم قبل زمن وجيز تمتطون صهوات الخيل الجياد قاصدين الحدائق الغناء والجنائن الفيحاء ترويحاً للنفس من متاعبها وتملصاً من نوائب الدنيا ومصائبها . اما اليوم فقد غدوتم هلكى من التعب خائري القوى حتى حال جمال طلعتكم واكمدَّ بهاء صورتكم . ولكن كونوا على يقين انكم اليوم تبلغون جنات النعيم حيث لا هم ولا كدر

قبل ايام كنت اراكم سائرين في هذه الطريق افواجاً تتجاذبون اطراف الحديث جذلين وتتعاطون اقداح الفرح مبتهجين . اما اليوم فقد علت وجوهكم شارات الاكدار ودبَّت في افئدتكم عوامل الارتعاش وانتم صامتون ساكتون كأن على رؤوسكم الطير . ولكن ابشروا فان ضعفكم سيؤول الى القوة وحزنكم الى التعزية والسلوة

اما ترون تلك القلعة القريبة الشامخة قلعة اقرص الباذخة . هناك آخر مرحلة تقطعونها في ارض هذه الدنيا الخؤون . هناك ستلفظون الروح بيد ربكم وفاديكم الرؤوف الحنون . هناك ستتفجر دماؤكم كينبوع ماء زلال وتفوح من اجسامكم روائح كالعنبر والخزام

تبصروا في قلعة زرزوان فستضحي يوما معهداً مقدسا يقصده ذووكم الاعزاء واصدقاؤكم النجباء فيطيبون النفس بذكركم الحلو ويتحمسون في الثبات على ايمانكم ويهنئونكم بظفركم وانتصاركم

اشعر بان قواكم قد خارت وبنيتكم النحيفة انُهكت ولم يعد في امكانكم التسيار . ولكن ربي قادر ان يعيد لكم القوى ويجدد فيكم الشجاعة فان اجلكم قريب

سيروا اذن في عقبات الضيق الكؤود سيروا بالرغم عما نالت اقدامكم من الضرب الوجيع . عما قليل تصلون الى شيخان حيث المياه الطيبة والاعشاب الغدقة والاشجار اليانعة الباسقة والثمار الناضجة ولكن هيهات ان يدعكم العدوّ تتمتعون بمشاهدتها او تلتذون بمذاقها

في طريقكم بئر جرور فيها ستلقى جثثكم المباركة وعليها سترفّ ارواح الملائكة . ستغدو تلك البئر كالديماس الرومانية مزاراً للامة المسيحية . كونوا على ثقة انه ساعة قتلكم تحصل لكم قوّة غريبة سماها نطس الاطباء النعشة الاخيرة وسيدرّعكم ربكم خوذة البسالة لتقهروا خصومكم . واذكروا ان الذي ينطلق ذاهباً باكيا وهو حامل بذراً يزرعه سيرجع قادما مرنما وهو حاملٌ حزمه [مز ١٢٥]

لقد أعجبني صمتكم على شدة عنائكم واذهلني صبركم على كثرة اوجاعكم . لعمري اي افكار تخالجكم . فقد اثكلتم امهاتكم وأيمتم نساءكم ويتّمتم اطفالكم وكسرتم قلب اعزائكم فامسوا يعولون على فراقكم ويندبون حالهم وحالكم . الا سلامٌ

على تلك القدود الرشيقة والقامات اللطيفة سلام علـى تلك النفوس الطاهرة والاجسام الممزقة والعظام المجرّدة . والاكباد الملتهبة

لقد كنتم لنـا جذلاً وانساً فهل في العيش بعدكم انتفاع

تيقنوا انكم كدرتم عيشتنا وصدعتم افئدتنا وابكيتم مقلتنـا وتركتم دورنا بلقعا ينادي فوقها بوم الخراب . الا شُلّت يمين قاتلكم وعميت عينه ويبست ذراعه وهبطت الى الجحيم روحه

كأني بكل منكم يقول وهو ظاعن . الوداع ياوطني المنكود الحظّ فان السماء والارض شاهدتان لنا بان مغتصبيك اهلكونا ظلماً الوداع يا امي المسكينة وقرينتي الحزينة وعروسي الكئيبة . وداع لا اجتماع بعده . الوداع يا اطفالي اليتامى واخواني المحبوبين . الوداع يا آلي واصحابي وعليكم السلام

الفصل التاسع

مذبحة القافلة الاولى

سار المسيحيون موثقين أربعة اربعة وخمسة خمسة وكان القسان والمطران مربوطين اخر الجميع والجنود محيطين بهم احاطة الطوق بالعنق وهم مدججون بالاسلحة متنطقون بالبواريد متزنرون بالرخوت والله وحده يعلم ما كان يلعب في دمـاغهم الخبيث من الهواجس والافكار . اذ كانوا قد شمروا عن قدم وساق وفوّقوا لهم اصوب السهام وكانوا يحرّسون بهم ويحرّقون عليهم الارّم ويضربون كل من لا يلحق رفيقه سواء كان كهلاً او شيخاً او مريضاً او جريحاً او مصاباً باي داء كان

اما المسيحيون فكانت قواهم خائرة وعزائمهم واهنة لشديد ما كابدوا من السغب واللغوب اثناء اقامتهم في السجن فتعـذر عليهم من ثم الاسراع في المشي . وتبادر الى ظنهم انهم عند بلوغهم الى العين يستريحون هنيهة ويشربون جرعة ماء . غير ان الخصم استعجلهم على السير فظلوا يلوبون على الماء فلم يسمح لهم . اما ممدوح واعوانه الخبثاء فسقوا دوابهم وتبعوهم

ومـا تبلج ضوء الصبح حتى نشموا يفرزون الشيوخ والعاجزين وينحونهم عن البقية ويبعدونهم الى محل قريب فيعرّونهم وياخذون اسلابهم ويقتلونهم ويعودون

ولـما دنوا من عين عمر آغا استدعى منهم ممدوح بضع عشرة وأوهمهم انه يريد الرجوع بهم الى بيوتهم لانه على قوله تأكد عنده صدق امانتهم فسيّرهم في عصابة من الجند الاوغاد الى قلعة قريبـة فعرّوهم وذبحوهم ورجعوا

ثم استدعى غيرهم وعاق يعنفهم على خيانتهم للدولة ويخيّرهم في المناداة بالاسلاميـة والا فينزل بهم افدح العذاب ويذبحهم . اما هم فنبذوا قوله وصرّحوا بانهم لن يجحدوا ايمانهم مهما كلفهم الامر فبعث بهم الى اقرص في شرذمة من الاوباش حتى اذا وصلوا بهم الى قمة الجبـل اشرعوا فيهم السيوف والخناجر وعرّوهم وقصبوهم وهرسوهم اعنف هرس والقوا جثثهم في بئر هناك ناكز وعادوا ادراجهم ولحقوا القافلة واذاعوا ان قد اوصلناهم الى بيوتهم امنين مطمئنين وسرّ بهم اصحابهم واتحفونا بهدية شاكرين . اي ولعمري انهم اوصلوهم الى دارهم الحقيقيـة الابدية وهش لهم

ملائكة السماء اصحابهم . وقدموا لقتلاهم هدية تلاقهم . سوّد الله وجه كل كذوب . وقد جاء في سورة الصف « كبر عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » .

اما ممدوح فبعد ان نحى اولئك المسيحيين وبعث بهم الى البئر استدعى فئة اخرى ونمّ لهم الاكاذيب وافتن عليهم بالحكايات وعرض عليهم الاسلامية فنفروا من كلامه اي نفور فاوفدهم كمن سبق في زمرة من الانذال فضوا بهم وعذبوهم وقتلوهم واخفوا ثيابهم وقفلوا كعادتهم الحميدة راجعين كأنهم لم يفتعلوا شيئاً وقد قيل

لا يكذب المرء الا من مهانته   او فعله السوء او من قلة الادب

وصاروا كلما افرزوا منهم جمعاً أبعدوا بهم وقتلوهم ورجعوا واجروا ذلك في كل مرحلة حتى بقي نصفهم وهم يكذبون ويفترون كانهم ان مُنعوا من الكذب انشقّت مرارتهم . واعلنوا انهم لا يمدّون يداً على احد منهم ريثما يوصلونهم جميعاً الى رشيد الخبيث ليحاكمهم فان وجد عندهم خيانة زجهم في السجن والا سرحهم واعادهم الى منازلهم سالمين

غير ان السيد اغناطيوس النبيل اكتشف على المكيدة وشعر بالحيلة وتحقق ان الذين فُصلوا من القافلة قد قُضي امرهم وأُهدر دمهم وراحوا ينالون ثوابهم . ومن ثم استدعى ممدوحاً العلاج راس اولئك المنافقين الاعلاج وقال له ما عاد يتيسر لك ايها المداجي ان تخفي علينا أبازيرك مهما جمهرت علينا الاخبار . فقد تاكد عندي ان خرافي بأسرهم قد قتلهم اعوانك بأمرك وما بقيت منهم عين

تطرف . بناء عليه لي طلبة اعرضها على جنابك راغباً من كرمك ان تأذن لي في انجازها . . . ذرني اجتمع باولادي هنيهة من الزمان وابثهم لواعج فؤادي وابلغهم كلمتي الاخيرة . وبعد هذا لك الحرية ان تفعل ما ترى . فأمر ممدوح اعوانه ان يتنحّوا عن المؤمنين ساعة فجثا الحبر الباسل وأقسّته وجماعته على الارض ورفعوا اكفّ الادعية الى رب الصباوت ملتمسين منه النجدة والمعونة : فكان كملك مرجب يكتنفه جيشه الامين ويصغوا اليه بمزيد الحب والشوق

ثم اضرم في فؤادهم جذوات الحماسة الدينية واستنهضهم ليخوضوا غمرات المنون دون وجل وتناول كسراً من الخبز تلا عليها الكلام الجوهري واعطاهم الحلّ الاخير والغفران العام وناولهم السر الاقدس ليؤيدهم في الايمان ويقويهم على احتمال العذاب . ثم باركهم وقال لهم : لا تخافوا العدد والعدد ولا تهابوا الوعيد والتهديد . استبسلوا في سبيل دينكم واستقتلوا حباً بربكم . واشتروا عذاباً زمنياً طفيفاً بغبطة سعيدة مؤبدة . قال هذا والتفت الى ممدوح يقول قد انهيت العمل فاصنع ما راقك واعجبك

وبلغنا انه لما كان المسيحيون جثياً ركعاً يناجون الله مولاهم باخبات هبط عليهم غمام نوري غطاهم اثناء الصلاة وفاحت في تلك البقعة روائح زكية طاب عرفها وحلا شذاها مما لم يستنشقوا مثلها قط ولاحت على محياهم انوار عجيبة باهرة استلفتت ابصار القساة الواقفين ولكنها لم تؤثر في انفسهم لشديد حنقهم واسترسالهم في الخبث . على انهم كما اقرّوا على نفسهم لم يروا في غابر حياتهم ولن يروا ايضا رؤية كذا عجيبة غريبة . ثم ان المسيحيين وراعيهم

واقتسهم ابتسمت ثغورهم وعلت سمات الجلال جباههم واحسوا بتجديد قواهم ورقصت انفسهم طرباً وخيل لهم انهم في نعيم السماء يحبرون وقد ثملوا بحميا الغرام نحو فاديهم العزف الحنون . وما انهوا صلاتهم حتى تقاص عنهم الغمام[1] وكأن كل واحد منهم كان يناجي نفسه ويقول لها

يا نفس كوني عن الدنيا مبعدة وخلفيها فان الخير قدامي

ثم ان الاعداء الذين خيم على قلوبهم ظلام الضلال والغواية انفجروا كالذئاب على اولئك الخراف الوديعة واستاقوهم الى لحف قلعة زرزوان فعروهم من ثيابهم واستفرغوا كل الطاقة في تنكيلهم ثم مالوا عليهم ميلة شنعاء وقتلوهم عن بكرة ابيهم ولم يفرطوا منهم نافخ نار فتضرجت اصداؤهم بدمائهم الارجوانية وتضمخت عظامهم بالاطياب العطرة الزكية وتبللت الارض بقطرات دمهم النقية

ولم يبق من اولئك الشهداء البسل سوى امامهم الحبر القديس فجعل يلح عليه ممدوح ليطلعه على دخيلة امره ويفيده عن مخزن الاسلحة والمدافع . فقال له الحبر الشهم اراك يا ممدوح تجهل او تتجاهل اني قلت واقول الحق ان لا اثر ولا صحة لما تزعم انت واصحابك . فهيا افرغ في كاس سخطاك وألحقني باولادي سريعاً لاشاهد حفلة زفافهم واشترك معهم في افراحهم ولا يفتك انه يشق علي جداً ان ينالوا اكليل المجد دوني ويدعوني في هذه الدنيا الغرور وحدي . فالبدار البدار اضربني عذبني اذبحني اصلبني واهمر غصن

(١) أيد هذه الرواية جماعة من الجنود والاكراد ونقلوها خاصة للنصارى الذين اسلموا حديثاً

حياتي فلا اعود ارى وجهك ووجه امثالك

فصبر ممدوح نفسه وكظم غيظه وراح يكمل مفترض دينه فقال المطران الجليل اما بودك ان تجاهر بالاسلامية . فقال له الراعي : عجباً تكرر علي السؤال وقد اجبتك غير مرة اني احيا واموت على ايماني القويم وليس لي ان اتباهى الا بصليب ربي الكريم

فحرج ممدوح اضراسه واخرج مسدسه واطلق الرصاص على الشهيد حتى فاضت روحه وهو يقول « اللهم ارحمني في يديك استودع روحي[1] »

على هذا الاسلوب قضى هؤلاء الاربعمائة والسبعة عشر شهيداً في قنن الجبال وبطون الوديان كشهداء النصرانية الاولين الذين زينوا الكنيسة الجامعة باكاليلهم الدموية وانتصاراتهم على القوات الجهنمية وتمّ استشهادهم في العاشر والحادي عشر من حزيران ١٩١٥

لعمري ما مثل هذا الحبر البار وقائد وجماعته الافاضل الا مثل كوكب الصبح بين الغمام او البدر ايام التمام او الشمس في رائعة النهار او الزهرة بين الاشجار او الزنبقة على مجاري الانهار « ليكن ذكرهم مباركاً ولتزهر عظامهم من موضعها وليتجدد اسمهم ويمجدهم بنوهم [سيراخ ٤٦] »

من لي بجناحين فاطير وارف فوق هؤلاء الصناديد واجمع دماءهم جمع لآل نفيسة ودرر يتيمة واكنزها في حنجود او سفط ذهبي اضعه في احد المعابد كمشكاة تنير من رآها فتبعث فيهم الاشواق

(١) اورد بشو السرّاج غير مرة متباهياً بانه بعد ان قتل ممدوح السيد اغناطيوس الشهيد قبض هو على لحيته واستل خنجره وضربه في ترقوته (نقفاً) ثلاث ضربات

وتذكرهم بغلبة الاحباء والاصحاب وتدفعهم ليقصوا آثارهم · ليتني احصل على رجال افاضل يسيرون معي الى تلك الجبال وينحدرون الى الآبار فيجمعوا تلك الاصداء في صناديق ثمينة ويحضروها الى الكنائس لتصان فيها للذكر الطيب الخالد

الفصل العاشر

تلفيقات القتلة الخونة عن مصير القافلة الاولى

ان ما اسلفناه عما جرى لشهداء القافلة الاولى الامجاد رواه لنا جملة من المسلمين الثقاة ممن يركن الى قولهم ويُعتمد عليهم · بيد ان الخونة الخراصين حاروا كيف يلفقون الاخبار ويموهون الاحاديث ليحجبوا عنا الحقيقة اذ كانوا قد اقسموا بالطلاق الثلاث وهو افظع واغلظ قسم عندهم وحلفوا بالمحرجات ان يكتموا عنا الامر · بناء عليه جاؤا بالصقارى والبقارى واوردوا الفاظاً ومعميات شتى استدل منها كل خبير على خبث نياتهم وكثرة تفنناتهم في فتق الحيل واختراع الاكاذيب · فقد نقلوا لنا عن السنتهم مئين من لمطة الاخبار نورد منها على سبيل المثل ما سمعناه · فقائل انهم ساروا آمنين مطمئنين ووصلوا الى دياربكر السوداء صاغين سالمين · وقائل ان مسلمي القرى المجاورة أولموا لهم الولائم واستقبلوهم بحفاوة حتى دياربكر · وقائل انهم حين وصولهم الى شيخان انقض عليهم الانكليز والفرنسيس في ثلاثين طياراً واختطفوهم وذهبوا بهم الى بلادهم[1] · وقائل ان الدولة وزعتهم في البلاد لئلا يراسلوا الدول

(١) روى ذلك شوكت بك وخليل ابن ابرقم وغيرها

العظام ويدعوهم للاستيلاء على الاراضي والاملاك · وزاعم انهم وُضعوا في قرى سويرك ليشتغلوا في السكة الحديدية · وكاذب انهم موجودون في الثكنة العسكرية بدياربكر لا يجوز لكائن من كان ان يواجههم · وملفق انهم بُعثوا الى بلاد الشام والحجاز او الى نواحي العراق وغيرها من البلاد · وان الشيوخ منهم توفوا في الطريق ولم يبق سوى الكهول والشبان · وان السريان والكلدان والبرتستان قد أفرزوا من الارمن وارسلوا الى احد البلدان · بل ان ممدوحاً نفسه اكد للسيد جبرائيل مطران السريان انه قد قتل جميع الارمن وذهب بالسريان والكلدان والبرتستان الى بلدة لا يجوز له ان يقول اسمها لئلا يحرمه ملاه ؟ تفٍ للخداع والتدليس

وانتشرت هذه التلفيقات وذاعت حتى صدقها الكثيرون على ان السيد جبرائيل تبوني مطران السريان جعل يستخبر ويبحث عن محل اقامتهم ليتيسر له ان يبعث لهم شيئاً من الذهب لمعيشتهم · فكتب في ٢١ كانون الثاني ١٩١٦ الى الشاب النجيب ملكوف حبيب دي جروه رسالة اليك نصها

« جناب ولدنا الحبيب ملكوف دي جروه حرسه المولى

« بلغنا ان مسلماً مهاجراً مرّ بنواحي سروج ورأى بعينه رجال القافلة الاولى ولم يعرف منهم سوى عزيز شاميه السرياني وجليل خرموش الكلداني وهم موجودون في محل حصين يقال له « قوم قشله سي » وقد واجههم المهاجر المذكور وحادثهم فقالوا له اننا مفتقرون الى شهادة تؤذن باننا سريان او كلدان فننجو من السجن لا محالة · واعلم يا ولدنا العزيز ان هذا الخبر ذاع وشاع وصدقه

المسيحيون . وبناء عليه كتبنا هذه الرسالة وسيرناها اليك مع الساعي والقينا على عاتقك الاهتمام والفحص عن هذه المسئلة الخطيرة . لنقف على جلية الامر

« فانهض ايها الابن الحبيب للقيام بهذه المصلحة المهمة جداً لان حياة كثيرين من جماعتنا منوطة بها . ونرغب ان تصرف كل جدك وجهدك وتسعى السعي الحثيث غير مبال بالتعب والنفقة والخطر ريثما تتحقق الخبر . ومتى وصل اليك حامل كتابنا اعدّ له ما يلزم وارسله الى « قوم قشله سي » للبحث والتنقير . ونرغب ان تستفسر انت كذلك عن رجال القافلة الاولى وعن محلهم وعددهم واسمائهم الخ فان اصبت الغرض تبلنا « صحتي جيدة » فنفهم من ذلك ان رجال القافلة الاولى هم في قيد الحياة . وبعد هذا ارسل الينا مع الساعي التفاصيل الوافية

« واعلم يا ولدنا النجيب ان والدكم القدسي حبيباً العزيز هو من جملة الرجال الذين نفتش عنهم . وعهدنا بنشاطك واقدامك وحذقك انك لن تقصر في البحث والتفتيش فتكسب بذلك ذكراً طيباً واسماً حياً وحباً خالصاً وتؤدي اجل خدمة لطائفتك السريانية وتغدو من افضل الابناء البررة وتحوز الشرف والاعتبار . هذا واننا ندعو لك بالتوفيقات الصمدانية حرسك المولى من كل اذى وخطر »

ولما وصل السفير الى محطة عرب بنار دفع الرسالة الى ملكوف دي جروه فتصفحها ملياً واعمل الروية في كيفية البلوغ الى الغرض المطلوب فآلى على نفسه ان يقتحم كل خطر ومشقة ويبذل كل

صعوبة ومخاطرة في طلب الرجال المسيحيين ولاسيا والده

فقصد صديقه عبد القادر الجركسي وقال له بلغني ان في قرى سروج رجلاً نصرانياً هو من اعز اصحابي فاروم ان استخبر عنه واقف على موضع اقامته . وارغب اليك ان تسير معي البحث عنه فتوليني بذلك منة كبيرة لن انساها لك ما حييتُ . فاستشار عبد القادر الجركسي باصحابه واعدّ جوادين ركب هو احدهما وركب الاخر ملكوف وغادرا المحطة وتوغلا في برية سروج يبحثان عن الرجل

غير ان ملكوف ما كذب ان أسرّ الى صديقه الجركسي انه شاب مسيحي وان الذي يفتش عنه هو ابوه . فبهت الجركسيّ اذ كان يظنه مسلماً . ولما رأى شديد حزنه ومزيد قلقه حلف له بالله العظيم وجمع الى اليمين بالله يميناً بالطلاق واكد له انه يجول معه ويساعده بكل طاقته ريثما يحصل على النتيجة . فجعلا يقطعان الطرق ويسألان عن موضع العملة حتى انتهيا الى تل حمر بالقرب من الفرات وصادفا جملة من العملة كان اغلبهم من بلاد ارمينية . ثم قصدا « قوم قشله سي » فامر ذلك الجركسي ان يخرج الذين بها ليراهم ملكوف فخرجوا فلم يصادف احداً ممن يطلب

وافضت المحبة بعبد القادر الى ان استحضر كل من كان يشتغل في تلك النواحي واستعرضهم امام ملكوف علّه يجد بينهم والده . فخاب امله ولما ملّ التفتيش والتنقير عاد الى المحطة وظل القلق مستحوذاً على الشاب النجيب فبات ليلته تلك ساهداً لا يدري كيف الوصول الى الغاية . ففكر التوسل الى صديقه فقصدا تفقد العملة

ثانيةً وثالثةً فلم يجد احداً ممن يطلب . فعاد الى محله مأيوساً وكتب الى المطران ان ما بلغه لا اثر له البتة — فانجلى له ان احاديث الخصوم في ذلك الشأن مسرجة مختلقة

وقد حدث مثل ذلك للقس اسحق ارملة فانه في ٥ تشرين الاول اي بعد القافلة الاولى بنحو اربعة اشهر كتب اليه القس جبرائيل احمر دقنه نائب بطريرك السريان بخربوط رسالة برقية بالتركية هذا شرحها « اخوك في نواحي خربوط ابعث له دراهم » ولما طالع الرسالة شمله السرور واذاع الخبر فاقبل غير واحد وهنأوه يعتقدون ان ذويهم ايضاً احياء . ثم ان القس اسحق كتب الجواب الى النائب المومى اليه ان « ادفع لاخينا يوسف ما يحتاج اليه . التفصيل بالبريد » وبعد هذا كتب اليه رسالتين في الصدد عينه فوافاه الجواب يصرح له بنص الرسالة البرقية وهو « الياس بطروسي يرغب ان تعلمه عن والده وذويه . قل لهم ليكتبوا ويطمنوه » فاستنتج القس وغيره ممن اطلع على الخبر ان المأمور بدل النص ليدخل الوهم عليه وعلى النصارى . فتأمل

وبلغنا في هذه الايام الاخيرة اذ خمد اجيج الحروب وزالت ويلاتها واُعتق العالم من المظالم والشقاء ونهضت الدول المظفرة تعقب على الجناة راح سعاة الشر والقتلة يعملون الفكرة في استنباط حيلة وايجاد وسيلة لينفضوا ايديهم مما اجترموا فلفقوا على ما بلغنا مضبطة كجاري عادتهم ادعوا فيها ان السيد اغناطيوس بعد ان سار في قسانه وجماعته آمناً مطمئناً ووصل الى شيخان صحيحاً سالماً استحضر عشباً مزجه بالسم الزعاف وقدمه للجنود الحفظة فأكلوه على غرارة

منهم فأصابهم الموت الزؤام . فاحس من تبقى منهم بالدسيسة فنهضوا مسرعين ليثأروا من الرئيس والمرؤوسين فانجفل المسيحيون وتقطعوا طرائق وتفرقوا حزائق . فاطلق الجنود عليهم البنادق فلم يصيبوا منهم الا نفراً يسيراً اما عامتهم ففرّوا الى الجبال وتبطنوا الوديان واختفوا عن العيان . فلما راى اغناطيوس مطرانهم ما صار اختلس مسدس احد الجنود وافرغ رصاصتين في فيه فقضى نحبه

ياويحَ المنافقين الخراصين كيف يتيسر لهم الهرب من خيانة ظهرت ظهور نار على علم . ام كيف يتبراون مما اجترموا وجرائمهم تلحقهم لحوق الظل للاجسام . هلا بخعوا لنا بالحق واستشنعوا ما ارتكبوا وندموا على ما افتعلوا

افتح اذنيك ياصاح وانصت لمقولات هولاء الكذبة وتعلم التدليس من ابي الكذب ابليس . ولكن ابليس اعقل من ان يوسوس لهولاء بهذا وحاش له ان ينزغ بينهم بمثل هذه الخزعبلات . فانهم فاقوه في الابلسة والشيطنة معاً . ولعلهم متى حظوا به في الظلمات الدامسة الابدية زحزحوه عن كرسيه الناري وتربعوا مكانه ولقنوه ما لا يتصل اليه خبثه ولا يخطر على باله . هناك سيشاهدون اصحابهم فيقولون لهم اهلاً وسهلاً بكم . هلموا شاطرونا فاننا قد طوبنا جهنم لحسابنا وغدت ملكنا الخاص وما عدنا نخرج منها الى الابد . نعم الاباء تمخضوا وحبلوا وولدوا نسلاً باراهم في الصناعة وفاقهم في الدهاء والمكر والشناعة . فلهم ما للاباء من العقاب بل اوفر ومن العذاب افظع واكثر

الفصل الحادي عشر

صلوات المسيحيين ونذورهم . غيرة الشهيد القس متى ملاش السرياني

صفا الجوّ لاعداء المسيحيين وايقنوا بالنصرة التامة وما بعثوا بالقافلة الاولى واخرجوها من البلد حتى استأذنوا يلقون الايدي على الباقين ويسوقونهم بعنف الى دار الحكومة والسجن مذ ثالث حزيران الى اليوم الثاني عشر منه اذ كان ذلك شغلهم الوحيد

فهبّ اثناء ذلك جمهور الاقليرس الباقين والمؤمنين الخائفين لاقامة الصلوات في الكنائس ورفع الابتهالات الى الفادي ليدرأ عنهم البؤس والبرحاء او يعضدهم ليخوضوا مضمار الآلام كأجدادهم المسيحيين العظام . فكنت ترى الكهنة يخطبون فيهم ويحرضونهم على تسليم مقاليد امورهم للرب القدير . وكان المسيحيون كبيرهم وصغيرهم دنيهم وحقيرهم يهرولون منسلين الى الكنائس ليشتركوا في الصلوات الجمهورية طبقاً لمشورة يسوع الفادي « انه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي كنت في وسطهم » . وكانت كنيسة مار يوسف للارمن مفتوحة بعدُ يقصدها المسيحيون اما كنيستهم الكبرى فكانت مغلقة

اما النساء فطلقن الدنيا وهجرنها وتجردن للعبادة وكن يزدحمن في الشوارع حافيات ويقصدن كنيستي السريان والكلدان باسطات الايدي الى السماء ليؤيدهن الرب في الايمان ويخفف عليهن وطأة الاحزان . وقد رأينا بعيننا اثناء ذلك احدى السيدات الورعات تقطع الطريق راكعة على ركبتيها قاصدة الكنيسة لاستمطار الرحمة

والمعونة . وما ولجت الباب حتى استغاثت اليها الحاظ المسيحيين فمزجوا دموعهم بدموعها واضافوا خشوعهم الى خشوعها وظلت جاثية حتى نهاية الذبيحة فاستودعت امورها بيد ربها وراحت تهيء ما يلزم لرحيلها اسوة بابنها او بعلها او اخيها او ابيها

وسارت غيرها من النساء الى الكنيسة تحبو وتزحف على ذراعيها وتنذر النذور لنجاة نجلها وتسأل الله ان يصرف عنه كل محذور ومكروه لئلا يحيد عن السراط المستقيم

اما كنيسة السريان فالداخل اليها اذ ذاك كان يرى حبرها كملاك النور واقفاً في مذبح البخور يحيط به من بقي من الاقليرس رافعين الايادي الى الرب الغفور طالبين منه العفو والغوث . وكان جمهور المؤمنين يخرّون على وجوههم ساجدين يسمعون اناشيد الشمامسة وترانيمهم المحزنة

ايها القارئ العزيز ادعوك لتحضر بالفكر الى كنيسة العذراء السريانية وتتفرّس خاصة في ذاك الاب الغيور النشيط والكاهن الورع التقيّ القس متى ملاش منتصباً امام المذبح المقدس صباح الجمعة ١١ حزيران عيد قلب يسوع الاقدس يخطب في المؤمنين ويذكي حماستهم بزواجر وعظه البليغ ويهز اغصان هممهم بنسيم نصائحه الطيب وينثر عليهم لآلي ارشاده الكريمة ويسقيهم مناهل التعاليم الصافية . فكان كلامه كرذاذ غيث اصاب زرعاً نبت وتأصل واتى الواحد بثلاثين وستين ومائة . طوبى لمن عاينه وسمع نصائحه وعمل بموجبها فانه كان يود من صميم فؤاده لو يحوز غار الاستشهاد فسمع الرب نجواه وافازه بما تمناه . فقد كتب في نهاية دفتر قداديسه ما نصه

بجروفه • في تاسع حزيران اقمتُ الذبيحة في شان من قُبض عليهم من الارمن والسريان ليثبتهم الرب الاله في الايمان والنعمة او يفكهم وينقذهم من الاسر . وكتب في عاشر حزيران اني اقمت الذبيحة الالهية في شان من استاقوهم وفي شان الباقين . فالذين يريد الله ان يموتوا فليعطهم نعمة الثبات في البر ويقوهم على الاستشهاد . والذين يريد الله ان يبقوا في قيد الحياة فليحفظهم ويصنهم من الكفر والخطية اقبل يارب . اقبل يا رحيم • هذه اخر عبارة كتبها بيده المباركة . على انه يوم الجمعة حادي عشر حزيران القي عليه القبض وسيق الى السجن وانضم الى سائر كهنة الارمن والسريان . ولم يفتر ثم ايضاً من بذل النصائح العملية للمومنين المسجونين والاسترسال في تنشيطهم وتشجيعهم لترسخ اقدامهم في الدين المتين . وكان يسمع اعترافهم ويحلهم من رُبط مآثمهم . ولما راى الخصوم حماسته تآمروا على قتله دون غيره فالقوا طوق الحديد في رقبته فتهلل مستبشراً له لانـه أهل ان يماثل زعيم الرسل والاناء المختار . ولما وصلوا به وبرفاقه اصحاب القافلة الثانية الى شيخان ذبحوه كسائر من ذبحوا

لله درك ايها الكاهن الورع فانك نلت السعادة الخالدة باتعاب زهيدة وآلام طفيفـة . كأني بارواح الملائكة يرفون فوقك وفوق رفاقك الابرار ويطيرون بارواحكم الى مقر الافراح . هي صلواتك واسهارك المتواترة ودموعك المتكاثرة وغيرتك المتقدة قد اعدت له اكليلا سنياً مجيداً احرزته بكل استحقاق وجدارة . فهنيئاً لك وطوبى والف طوبى لنفسك

امـا هدايا المسيحيين اثناء الضيقة وتقادمهم الثمينة الكنائس

فكثيرة . على انهم استصغروا في اعينهم كل حلية وحلة واستغنوا عنها واتوا بها الى مريم سيدة النجاة ومعزية الحزانى ومعونة النصارى فامتلات كنيستا السريان وكنيسة الكلدان في مدة وجيزة من التحف والهدايا المعتبرة . وما كان يخطر ببالهم ان ممدوحاً وزمرته يهجمون عما قليل ويخطفونها . على انهم ما استكنوا بما جمعوا من الذهب الوافر حتى بادروا الى الكنائس والاديار وانتزعوا تلك التقادم والنذور مدعين بانها للارمن وان مال الارمن حلال لهم وحدهم وانقلبوا يتقاسمونها فيما بينهم وأفضى بهم الطمع حتى اقبلوا الى كنيسة دير مار افرام وعرّوا شخص العذراء من التحف المزدان بهـا . بورك لهم فيها

لا جرم ان تلك الهدايا والنذور ستغدو كمناخز تخز ضمائرهم او كسفافيد تشيكهم او ظلال نارية تحف بهم من كل صوب في أسفل سافلين

الفصل الثاني عشر

في القافلة الثانية

واصل اعداء المسيحيين شغلهم وقبضوا على جم غفير واستاقوهم توّاً الى السجن والشكنة . وفي عاشر حزيران ساروا الى كنيسة مار يوسف فألفوا القس يعقوب يتمشى فلطموه واستدعوا القس اسطيفان الشيخ الوقور وقلبوا ثوبه الى راسه وسطحوه على الارض وانزلوا به اوجع الضرب وقالوا له هات ما عندك من الذهب والفضة والودائع مما يخص الكنيسة فاضطر ان يسلمهم المفتاح فاخذوا كل مـا كان

في صندوق الكنيسة والفقراء ثم فتحوا الكنيسة وانتقوا من الاواني والحلل والنذور والخلع ما طاب لهم ثم اغلقوا الباب وجمعوا الكهنة واستاقوهم الى السجن ما عدا الاب اسطيفان والاب يعقوب . وبعد هذا وافوا الى كنيسة السريان وقبضوا على القس لويس والقس يوسف معلمي المدرسة ثم قصدوا غرفة الاب دومينيك بيره رئيس الرسالة الدومنكية بالموصل واستدعوا رفيقيه الاب يعقوب والاب سمعان واستعجلوهم على مغادرة غرفهم فقال لهم الاب بيره « انا نحن فرنساويون لبثنا ههنا بامر الحكومة ومعرفتها » فانصرفوا واستشاروا كبيرهم فقال ذروهم الساعة في مكانهم وسارت طائفة منهم الى بيت القس حنا بنابيلي وانزلوا به الضرب العنيف واستاقوه الى السجن ويوم السبت ١٢ حزيران عاد الجنود الى كنيسة السريان وحاولوا ان يلقوا القبض على راعيها لكن الله سبحانه لم يشأ ذلك فاجتمع في السجن كهنة بيعة مار يوسف وقس تل ارمن ووجهاء جماعته وقس دارا وسبعة قسان من السريان واليك تفصيل ما جرى لهم نقلاً عن القس متى خريمو احدهم دون زيادة ونقصان قال :

عند ظهيرة السبت ثاني عشر حزيران اذ كنت منزوياً في غرفتي افتكر في حال المسيحيين وما صاروا اليه من الذل فتح باب غرفتي صالح الفروخ وفواد الكرجيه ودخلا علي وشرار الغضب تقدح من وجهها فقال لي صالح انهض مسرعاً واتبعني الى مقام البوليس . فقلت امهلني هنيهة فخطف كتاباً كان بيدي والقاه الى الارض وقال سارع قلت مالك ساخطاً وما ذنبي . وما مرادك . فلطمني على خدي لطمة دوختني وقال لي انت عضوٌ في الجمعية الفداوية ؟ قلت ساء

ظنك . قال استعجل وقم . قلت أبودّك ان إرضخ لك بشيء من الاصفر فتجهمني وقال . اسمك مرقوم في الدفتر ولا يسعني السكوت عنك . على ان اقطاب الجمعية كانوا كل ليلة يكتبون اسماء من ارادوا سوقهم في ورقة خصوصية يدفعونها الى البوليس في الصباح ليقبضوا عليهم . فتهيأت للرحيل واستدعوا القس حنا طبي وبطرس ملاش وافه الكنيسة وجرجس الوصلي خادم الاباء الدومنكيين وغيرهم ممن رأوهم في ساحة الكنيسة والغرف وذهبوا بنا الى مقام البوليس فمكثنا ثم الى الاصيل فدونوا اسماءنا مع اسماء من احضروا من الارمن والسريان والكلدان . وساقونا الى السجن

ونحن في الطريق بالقرب من دار الحاج علي بك اذا بالاعلاج يسخرون منا ويقذفون بالحجار علينا واتفق ان ثلاثة منهم تهوروا من السطح الى الارض في قلب بعضهم . ولما وصلنا الى باب الحبس جعلوا يفتشون كلّا منا . فضربوا القس حنا طبي واوقدوا لحيته بالكبريت ثم انزلونا وحشرونا في غرفة ضيقة حرجة وبلغ عددنا نحو ثلاثمائة . وبعد الغروب بساعتين قبضوا على ثلاثة وثلاثين شخصاً في جملتهم ميخائيل ماغيي المشلولة قدمه فساقوهم بعنف الى ساحة دار الحكومة وطفقوا يضربونهم ويهمزونهم بالبواريد . ثم اخذوا حذاء ميخائيل المذكور وطربوشه وكيس دراهمه واقبلوا بهم الى السجن ودفعوهم من اعلى الدرج الى اسفل . فصار مجموع النصارى في السجن ثلاثمائة وتسعة من ارمن وسريان وكلدان وبرتستان

واتفق ان توما شد وفرج الله جرباقه قدما اذ ذاك من حلب فكبس الجنود داريهما واستاقوهما الى السجن واضافوهما الى جماعة

المؤمنين

واستدعوا في تلك الليلة بعض القسان والوجهاء الى غرفة العذاب وعلقوهم بالحبال الضخمة وانطبقوا عليهم يضربونهم بشراسة كالقس حنا بنابيلي وغيره . وفي الهزيع الاول من ليلة الاثنين رابع عشر حزيران وافى السجان وتقدم الينا بالخروج قاطبة من تلك الغرفة . فاخذنا القيم المقعد لشديد وجلنا ومزيد رعبنا فخرجنا وصادفنا قوماً من الضباط والعسكر مصطفين قلوبهم منشرحة وآمالهم منفسحة واكبوا علينا من الجهات الخمس اعني من الميمنة والميسرة والقدمة والساقة والقلب ومضوا بنا الى الثكنة ثم اقبل احد الضباط وامر القسوس ان يصطفوا على حدة فامتثلنا الامر وطفق يدعو واحداً واحداً ويغلله واول من استدعى القس متى ملاش فالقى في جيده طوق الحديد وهو يتهلل بشراً ثم انصب علينا المشكوية والداشية كفارس بن حمي الباشا وعمه عمر وواصي بن محمد سعيد آغا وياسين ابن عمته وغيرهم وانتقوا منا اربعة وثمانين شخصاً القوا في رقابهم اطواق الحديد . وغللوا كذلك يدي القس حنا طبي واوثقوه مع شاب ارمني من تل ارمن . ولما نفدت الاغلال الحميدية عمدوا الى الحبال الضخمة فاوثقوا كل خمسة بحبل . وقام بقية العسكر مستلين سيوفهم فوق رؤوسنا مخافة ان ينهزم منا احد . ولما انتهوا من الربط والغل كالعادة اقبل مامور السوق والعسكر الخمسيني من فورهم واحتفوا بنا وكان نعمان النمس واخوه اسعد واقفين فاستدعيا المامور وقالا له قد آن الاوان للفوز بغايتكم فتقووا ولا تكونوا كالماردينيين يوم ردعوا الاكراد سنة ١٨٩٥ وحرجوا عليهم قتل

النصارى

وما بزغ فجر الاثنين ١٤ حزيران حتى استاقونا . ولما بلغنا الى باب المشكية تعهدوا الحبال فشددوا ما ارتخى واوثقوا ما انحل وجعلوا يستلحمونا ضرباً وطعناً ويزيدوننا رفساً وصفعاً ويتفلون في وجوهنا ويكفخوننا بالعصي ويوسعوننا سباً وشتماً وينشتمون علينا بكل قول قبيح كما اعتاد لسانهم القذر . واتفق ان احمد الشيال كان بجانبي يكثر من ضربي ويتفل في وجهي فما تماسكت ان قلت له: اكفف يا غبي يا كافر . اما تراني لاحقاً برفاقي صامتاً . دعني وشأني. فتركني وانصرف الى غيري . ولما غادرنا العين القريبة نشموا في اختلاس ما زاد من الثياب واختلاع ما عندنا من الدراهم ولفائف الدخان والطعام

ومما يستحق الذكر ان الياس شوحا بعد ما ساقوا اخوته الاربعة مع اول قافلة وهم في شرخ الشباب غدا طريح الفراش تعذبه الحمى الشديدة وكان الموت اليه اقرب من حبل الوريد فلما القي عليه القبض واضطر ان يسير معنا احس بان قواه قد رجعت وصحته تحسنت فأولاه الله شفاء دون دواء.

وعند وصولنا الى عين عمر آغا طلبنا مهلة لنشرب ماء فامرونا بالجلوس واخذوا يصلحون البواريد ويهيئونها للقتل . ويتشاورون على اختلاس الاسلاب

الفصل الثالث عشر

استشهاد اربعة وثمانين مسيحياً تبعهم خمسة عشر شهيداً في ١٥ حزيران

ولما شارفنا شيخان ووصلنا الى مزار الشيخ موس امرنا الجند ان نقعد ونقوم ثلاثاً احتراماً لذلك المحلّ المعتبر عندهم وكانوا مصممين ان يذبحونا ثم ويقدمونا ضحايا لشيخ موسهم المحترم . فوصلنا الى المحل المرقوم وربضنا عند ساقية الماء جياعاً عطاشا هلكى من التعب فاذنوا لنا ان نشرب ماء دلالة على جودهم وكرمهم المشهور — لا بارك الله فيهم — والتمسنا ان يبيعونا خبزًا فاحضروا لنا ارغفة شعير سوداء استطبناها وارتحنا . وما عتم ان جاؤوا الينا يريدون ان يقسمونا قسمين يذهبون بالواحد الى المغارة ويذرون القسم الاخر في محلّ الزيارة . فلم نرضَ لاننا توخينا العذاب والموت معاً فقلنا لهم بل نذهب باجمعنا . فساقونا بين الاشواك والاوحال حتى وصلنا الى تلك المغارة لنبيت فيها تلك الليلة المشؤومة . فدخلناها ومكثنا بها زهاء ساعتين . والاكراد والعشائر كالزنابير مزبأرين الشرّ وفي ايديهم الفؤوس والبواريد والخناجر والمديات والسيوف والهراوى . فاستحوذ علينا الارتعاش ثم اقبل المأمور وطفق يخاطبنا بالتركية ما شرحه : اولادي انكم مزمعون ان تمكثوا ههنا الليلة . غير اني اخاف ان يهجم الاكراد والعشائر ويأخذوا ما عندكم من النقود والخواتم الذهبية والفضية فالاجدر ان تسلموني اياها فاكتبها في ورقة على حدة . ومتى وصلتم الى دياربكر سلمت كل ذي حق حقه . فجمع المأمور ما شاء وملأ حقيبة من الذهب والفضة والساعات

والخواتم والسلاسل . ثم تأبطها وانصرف جذلاً مسروراً . واقبل الجند بعده يفتشون عما بقي فاخذوا اسلابنا واموالنا واحذيتنا وطرابيشنا وثيابنا ولم يدعوا علينا الا ما يسترنا . فلاح لنا أذ ذاك اننا عما قليل نغادر هذه الدنيا الغرور ونخلص من رؤية تلك الوجوه المقيتة . فنهضت انا وجميع اخوتي الكهنة رفاقي في النفي والاضطهاد وجعلنا نحث المؤمنين ليتأهبوا لشرب كاس العذاب صابرين فطفقوا يبكون ويصلون ويدقون صدورهم ويقرون بخطاياهم ثم بدأوا يرنمون نشيد :

ننال ننال جزانا في السماء   ننال ننال جزانا في السماء
جزانا في السما لم تسمع به اذن   ولا راته عين جزانا في السما
جزانا في السما هذا من الايمان   وضيق ذا الزمان لا يوازي الجزاء

ولبثنا كذلك حتى الساعة الثامنة من الليل والخفرة يحرسون المغارة والاكراد ينتظرون الساعة متى ازفت يشرحفون للقتال وسفك الدماء . وما مضى القليل حتى اوقع فينا احد الجنود صيحة عظيمة ارتجت لها المغارة وارتجفت لها الافئدة وقال فليخرج كل من كانت يداه مغللتين وعنقه مصفداً . فنهض اهالي تل ارمن وجماعة من اهالي البلد والكهنة بلغوا اربعة وثمانين وودعونا وخرجوا فجعلنا نحن الباقين نتلو السبحة الوردية خاشعين نسال لاخوتنا المعونة والحول ونسال لهم الثبات والايد

فازدحم الاكراد الاوباش والجنود الاوغاد على الاربعة والثمانين وطفقوا يتقارعون على ثيابهم والتحم القتال بينهم وبين العسكر الحسيني اذ كان كل منهم يحاول مد يده على الغنيمة . فتشاتموا

وتضاربوا وتصايحوا وتقاتلوا وضرب الجند كردياً فتكوا به فذهب الى لعنـة الشيطان سيده . ثم جدّ الجنود واجتهدوا في كشف الاكراد عن الخراف الوديعة وطالت المناوشة بينهم . فلم يعد في وسعهم ان يرجعوا عاجلًا ويأخذوا غير من اخذوا لان النهار انتفخ . وكانوا يحاولون ان يتغدوا بنا قبل ان يتعشى بنا الاكراد فخفق امل هولاء واولئك . بناء على ما قلنا رجع الجنود بعد ما فتكوا بارواح اخوتنا وقالوا لنا اخرجوا كلكم . فشملت الرعدة فرائصنا وقلنا لبقية الجماعة لقد برح الخفاء وانكشف الغطاء فلا بد من سفك دمنا كما سفك دم اخواننا . وما خرجنا من المغـارة حتى شدوا اكتافنا وقالوا ان شئتم ان تشربوا ماء فاشربوا فنزلنا لنشرب ونحن غافلون عما كاده لنا العسكر الحسيني والاكراد اذ كانوا قد احتجبوا عن عيننا في الغياض ولزموا الصمت والسكوت حتى اذا دنونا من الماء اطلقوا علينا البواريد فبتنا مبهوتين على حالنا حائرين في امرنا لا ندري انشرب ام لا . غير ان اغلبنا استغنوا عن الشرب . اما الذين دنوا من الماء فاصابهم الرصاص وقتل منهم خمسة عشر من جملتهم القس جبرائيل الارمني وحبيب الحلاق السرياني وجرح القس حنا بنابيلي وجميل ايغو ويوسف ترزيباشي ورجل من تل ارمن فهذا اصيب بخنجر في عنقه حتى شارف المنون فاقبل احد الاكراد ليعريه فقبض ذلك المسيحي على خنجر الكردي وانتضاه وضربه به فجرحه جرحاً بليغاً . اما رزق الله دقاق فلما راى ما راى من غلاظة اولئك الطغاة ايقن انه يُقتل عما قليل فخر جاثياً على ركبتية ونادى باعلى صوته يرنم التقاديس الثلاثية ويقول قدوس قدوس قدوس رب الصباووت . وكان شريكه في قريته

في جملة الجنود المرافقين القافلة فعرض عليه الاسلام فزجره رزق الله وزبره وقال له اكفف ولا تعد علي الكلام ثم ان نصري القدسي جبور نادى الاكراد وقال لهم . ان شئتم قتلنا اقتلونا خارج الساقية لانه ما من احد منا يعارضكم . فقال لهم البوليس قدُكم . كفاكم

ثم طلعنا من الساقية فاقبل الجنود وفكوا وثاق من قتل وانثنوا يحكمون الربط وطفقوا يسوقونا في الجادة ونحن خائفون . فثبت لدينا ان الذين افرزوهم منا قد فتكوا بهم في الجبل القريب

الفصل الرابع عشر

سوق من بقي من القافلة الثانية . العفو . وصولهم الى ديار بكر وحبسهم من ١٥ — ٢١ حزيران

واصلنا السير وعيوننا تحوم يسرة ويمنة لنرى اثار الذين سبقونا . فصعد احد الجنود الى تل قريب ونادى يقول ها ان عيـد رمضان مقبل فمن اراد ان يقرب قرباناً فليبادر وكان من نيته الخبيثة ان يتخير من شاء منا ليضحي به كرماناً للعيد . غير انه عاد بخفي حنين ولم يصغ احد الى مشورته . وما وصلنا الى خانكه حتى خواط ثلاثة منا لشدة هلعهم كجرجس قاووغ ويوسف فروجي واوهنيس بن جرجس ساعور فنهض عليهم الانذال وبطشوا بهم في آفكور

ثم استانفنا المسير عراة جياعاً عطاشاً صابرين ونحن لكذلك اذا ثلاثة من الخيالة راكضين بسرعة من ديار بكر رافعين ايديهم يصيحون . مكانكم مكانكم . فرف فوادنا لمجيئهم وعللنا النفوس بالنجاة وما وصلوا الينا حتى قالوا لنا قد جاءكم العفو فادعوا

للدولة بالنصر وقولوا « بادشاهم جوق يشا » فقلنا ذلك ثلاثاً . ثم وصل الينا من دياربكر مامور سوق في جملة من العسكر الخمسيني الامدي فزحزحوا عنا العسكر الارديني ومأمورهم فتبعناهم حتى يمنا خانكه وكلا العسكرين يكتنفاننا . ولما وصل الينا المامور جعل ينفض بمنشفته وجوه الكهنة المتربة ويقول واهاً لكم . واهاً لكم . وآسفاه عليكم . ومضى بنا الى الماء فشربنا وارتوينا . ثم قال لنا اعطوني دراهم لابعث في مشترى خبز لغذائكم . قلنا ان المامور الارديني اخذ جميع ما كان عندنا من النقود فاستدعاه واستخبره عن ذلك . فقال : خفت ان يختلسها العشائر فاخذتها . وهذا اردها لهم . فاستحضر الحقيبة المتلئة ونشر الورقة يقرأ فيها اسم كل منا ويدفع له ما استلم منه المامور الارديني عدا الذين قتلوا ليلة البارحة فان نقودهم بقيت تراثاً للدولة . فارسلنا في مشترى خبز اكلنا باجمعنا وشكرنا للمأمور حسن التفاته . ووعدنا المامور نظرا لرقة قلبه ان يحل الحبال من اكتافنا على ان لا ينهزم احد منا . فاصدقناه الوعد وقلنا من هرب قتل حالا . ثم قال للمأمور الارديني اين الاشخاص المكتوبة اسماؤهم في الدفتر . فأومأنا اليه ان قد غابوا اي قتلوا . فتاسف المامور على ما فرط وعنفه تعنيفاً شديداً على فعلته الخائنة المنكرة وقال له ارجع انت واصحابك الى شيخان فرجعوا

اما نحن فنمنا ليلة الثلاثا ١٥ حزيران في خانكه مرتاحين ولما اصبحنا اذا برزق‌الله دقاق قد فل عنه عقله لشدة خوفه . وكان يولول ويصيح ولا تكاد تسعه الارض . فقصدت نحو المامور وافدته اني

شيخ لا استطيع المسير حافياً . فاذن لي ولكل من احب ان نكتري دواب نركبها فاستكرينا دابة ركبها رزق‌الله المذكور وقام القس لويس الغيور بخدمته فلما كلّ رزق‌الله وتعب وأزعج جميع من معنا بصوته وصياحه انزله المأمور عن دابته ونحّاه عنا . وما سرنا قليلاً حتى سمعنا اصوات اطلاق البنادق فتأكد لنا انه قُتل

ولما انتهينا الى الجسر الاسود استرجع اصحاب الدواب دوابهم وانقضّ علينا عشائر قرى دياربكر كالبواشق وحاولوا ان يهلكونا وطفقوا يسوقونا بعنف حتى اوصلونا الى دجلة فدب الفشل والقنوط في قلبنا وتجددت عوامل الحزن فينا فقلنا :

آيس من الناس وارجُ الواحد الصمدا
فانه هو أعلى منة ويدا

وافضى بهم اللوم حتى اضطرونا ان نعبر دجلة راجلين لنغرق . فشعر المامور بالمكيدة وطفق يعنف العشائر ويبكت العسكر الامدي الذي مال الى قولهم ثم استدعى احدهم وضربه وقال له : اغايتك يانذيل ان تهلكني . اتجهل اني انا المسؤول لا انت . اخفي عنك ان الوالي امرني ان اوصلهم الى الولاية سالمين . فكيف أدت بك الجسارة الى ارتكاب هذا الفعل اللئيم المنكر ؟

واصيل الاربعاء دخلنا باب دياربكر فخرج المسلمون يتفرجون وكانوا يرجموننا ويبصقون علينا ويهزأون بنا حتى وصلنا الى محلّ المسافرين [المسافرخانه] فلبثنا منتصبين في الباحة صفًا صفًا . فنزل وكيل الوالي وممدوح وقوم من الوجهاء والمامورين وتفرسوا فينا واحداً فواحداً . ثم التفت الوكيل نحو ممدوح الخبيث وقال له

بالتركية « خوش عملة » نعما العملة أحضرتهم فقد كان الخليق بك ان تحضر تجاراً ووجها ،لا قسوساً وفقراء . اجاب ممدوح ان لم يبق تجار في ماردين. فرجع الوكيل واخبر الوالي وارسل من يقول ادخلوا الى دار المسافرين فدخلنا باجمعنا فاستأثرت بالبقاء عند الباب رغبة ان اسمع ما يُقال واقف على حقائق الامور وكانت الدموع تنصب على خدي وعوامل الحزن مستولية على قلبي . فقلت

وما ملجأٌ لي غيرُ من انا عبده   الى الله انهي شقوتي وسعادتي

وعند الغروب جاءنا اصحاب الخير بماء وكيس كبير من التبغ مع ورق وزّعوه علينا ثم ارسلوا الينا ثلاثة احمال خبزًا وجبناً فاكلنا وشكرنا للمحسنين الذين شاطرونا مشقاتنا وكشفوا عنا شيئاً من ضنكنا وضيمنا . ثم اقبل رجل ارمني يقول لنا قد هيأت الطعام لجميع الكهنة وعما قليل آتي به . ولما كنت متوسداً الاحزان مفترشاً الغموم والاكدار افتكر في من فقدنا وما صرنا اليه اذا برجل وافى اليّ يقول بالتركية ما شرحه : ما لك تبكي ايها القس وعلامَ اراك جالساً ههنا على الباب وحدك لمَ لا تطلع وتنضم الى رفاقك . قلت له

برمتُ بالناس واخلاقهم   فصرتُ استأنسُ بالوحدة

كيف يتيسر لي ان اتكلم او اتسلى انا الذي كرثتني الكوارث فخسرت اعز اصحابي وفقدتُ افضل اخواني . فتركني الرجل ثم عاد فاخرج خبزاً ملتوتاً بالسمن وجبناً وناولني يقول خذ كل فاخذتها وجعلتها الى جانبي واطرقت ساكتاً . ثم بثني ذلك الرجل ما في صدره فقال ربما يوافي اليكم رجل في زيّ نصراني متعمماً ومزنزا

كالارمن ويفاوضكم في مسائل سياسية ليصيب منكم حجة التمثيل بكم . فالحذار الحذار من ان تتفوهوا بكلمة تضاد الدولة فشكرت له وقصدت نحو رفاقي المسيحيين وبلغتهم مشورة الرجل النصوح فشكروا له . وفي الحق انه ما عتّم ان وافانا في تلك الليلة عينها غير واحد من الشبان يقولون مثلما افادنا الرجل الامين فقلنا لهم إنْ هذا إلّا امر الهيّ نضطر ان نقبله بكل مسرّة . وبعد ان ذهب هولاء وافى السجان وقال لي انهض واتبعني فنهضت وتبعته حتى انتهينا الى المراحيض فأمرني بالمكث ثم حتى الصباح . ويعجز اللسان عن وصف ما رايت ثم مما اقشعر له جسمي والقى الرعب في فوادي وغدا مصوراً في مخيلتي حتى اليوم . افتح يا حبيبي اذنيك واستمع واندهل لتشاطرني قليلاً في الخوف وتتفق معي على تقريع كل مريد كافر ظالم فاجر . على اني شاهدتُ في ذلك المحل ثلاثة زنابيل كبيرة ممتلئة انوفاً وآذاناً وأسناناً واظافر وشعراً وعيوناً واصابع الخ . ورايت جثتين هامدتين ورجلين مدنفين يكادان يموتان فذعرت لما شاهدتُ وقلت في نفسي لعلي اصير الى ما صار اصحاب هذه الاعضاء .

وعند الصباح امرني السجان فخرجت من ذلك المحل المرعب المكرب وقصدتُ رفاقي وانضممت الى اخوتي الكهنة لا استحسن ان اذكر لهم ما عاينتُ لئلا ازيدهم وجعاً وقلقاً

ويوم الخميس ١٧ حزيران مللنا الاقامة في محلنا فكتبنا الى الوالي بما نصه « اننا وصلنا الى دياربكر جوعى مرضى هلكى عراة حفاة فنسترحمكم المساعفة » فحوّل الاستدعاء الى رئيس الضباط فتركه

لديه ثلاثة ايام ونحن ننتظر الجواب بفارغ الصبر . وكان المسيحيون يحضرون الينا الطعام قدر ما يسعهم

ويوم الاحد ٢٠ حزيران اقبل السجان يقول لنا اريد ان يوافي الي رجلان كاملان فابثهما سرًّا . فقمت اليه انا وسليم حيلو فقال: تاهبوا فانكم عند نصف الليل تسافرون . قلت الى اين اطال الله عمرك . قال لا ادري . فرجعنا وافدنا اصحابنا عمّا قيل لنا . فشملتنا الحيرة والكآبة معاً . وارتاى البعض ان يتحفوه بشيء للاطلاع على الحقيقة . فنهضنا انا والاب مكرديج وجمعنا نيفاً واربعمائة غرش فاخذتها وطلبت السجان وقلت له ارجوك ان تقبل منا هذه الهدية الطفيفة بدل تعبك . الا اني ارغب ان تفيدني عن المحل الذي نقصده . واخذت ابكي واتأوه . فقال لي السجان . اعلم ايها القس انه لا يجوز لي ان اخذ دراهم من رجال فقراء معوزين نظيركم ثم اقسم انه لن ياخذها ابداً . فوضعتها في جيبه وقلت له رحماك قل لي الى اين مزمعون ان نتوجه . فقال امهلوني ساعة ريثما اطلعكم على الحقيقة . فانصرف وما تعوق ان عاد وقال ابشركم انكم سترجعون الى ماردين فعدت بسرعة وافدتُ اخوتي فسررنا واخذنا نصلي

الفصل الخامس عشر

في عودة القافلة الثانية وتمييز السريان عن الارمن

واستتلى القس متى خريمو الوتر يقول : قضينا ما بقي من الليل في الصلاة والابتهال حتى اذا كان فجر الاثنين ٢١ حزيران

جاء السجان في نفر من الجند يقول اخرجوا وانزلوا . فخرجت قبل الجميع وشاهدت عدداً عديداً من الضباط والجنود مدججين بالاسلحة وفي يد احدهم دفتر فسالني ما اسمك . قلت القس متى. قال من سمع قراءة اسمه فليخرج ومن ليس موجوداً قولوا انه غائب [مقتول] ثم امسك الضابط بيدي وسلمني الى ضابط ثانٍ فاوثقني بالحبال وهكذا اوثق البقية ما عدا من اصابه جرح كما نوهنا كالقس حنا بنابيلي ويوسف ترزيباشي ولولي كورو وجميل ايغو وغيرهم فامروهم بالمكث في دياربكر ريثما يستصحون . ثم اقبل المامور في شرذمة من العسكر الخمسيني واحاطوا بنا ونادى يقول سيروا . فسرنا وما غادرنا البلد حتى طفق العسكر كعادتهم يصفعونا ويهزرونا باعواد بواريدهم . فلما شعر المامور قال لهم حذار ان تمدوا عليهم يداً فان ذلك منوط بي فقط . فاستانفنا المسير حتى وصلنا الى آخ بوار [خانجبوار] فجلسنا واسترحنا وشربنا واكلنا وشكرنا . ثم قمت الى المامور وقلت له تراني شيخاً حافياً يتعذر علي السير فاستاذنك ان استحسنت في استكراء مركوب . فقال متى وصلنا الى خانكه اطلقت لكم الحرية في ذلك . ولما وصلنا الى القرية حل ربطنا واستاجر لنا دواب ركبناها وواصلنا المسير نقول له خلف الله عليك وجازاك على معروفك . وما برح هذا المامور الامين يسايرنا ويجاملنا حتى وصلنا الى عين سنجه جذلين محبورين بعودتنا

وعند ذاك امرنا بالنزول عن ظهر الدواب واوثق الجميع بالحبال سواي وحدي . وحرّج علينا التكلم مع ذوينا عند وصولنا الى البلد . وخرج اذ ذاك عدد من المسيحيين لاستقبالنا . ظانين اننا

مثلما ذهبنا رجعنا . وكانوا يتسآلون اين فلان واين فلان . واذاع الخصوم بماردين ان جميع النصارى راجعون

ويوم الاربعا ۲۳ حزيران صباحا دخلنا ماردين على ما شرحنا وسرنا توًا الى دار الحكومة وجلسنا موثقين فاصدر بدري المتصرف امره ففكوا وثاقنا وادخلونا الى الثكنة واعلن انه يفتك بنا قاطبة بالرغم عن العفو الذي صدر في حقنا من العاصمة . ثم احضر الاهالي اذويهم المآكل . اما الكهنة فارسل اليهم السيد جبرائيل مطران السريان قوتهم . وبقينا يوم الخميس كله في الثكنة . ويوم الجمعة ۲٥ حزيران شخص الينا ممدوح بزي عادي وجعل يتفقدنا واحدا واحدًا . ثم سرت اليه انا والاب مكرديج قليونجي وقلنا له لا يخفاك انا مطيعون للدولة نتحرى تادية كل ما تامر به دون تذمر فمر ان شئت باطلاقنا . فقال للاب مكرديج ما اسمك . قال اسمي مكرديج . قال ممدوح هذا اسم خرا . لانه ارمني . فامتقع لوننا وتجدد حزننا . ثم انتهرنا وقال ارجعا فرجعنا مايوسين . وما مضى من الليل ساعتان حتى استدعي الاب مكرديج الى منقع العذاب فضربوه ضربا عنيفا ومضوا به الى السجن التحتاني

ثم اقبل نفر يستدعيني باسمي فقمت من ساعتي اليه فقبض على لحيتي واخذ يجرني بعنف وتبعه ثان فقبض على رقبتي واقبل ثالث يرقص قدامي جذلاً ويصفق طربا . اما انا فرفعت يدي وضربت الذي امسك لحيتي وقلت له كن اديباً رصيناً لا تمد يدك الى لحية شيخ ابيضت . لكنه لم يكترث لقولي بل زاد في السحب والجر قدر طاقته حتى افضى بي الى قاعة العذاب فقال لي المستنطق ما

اسمك . قلت القس متى خريمو السرياني القتوليكي . قال اجلس نستوضحك عن امور مهمة . واستتلى يقول : ان دولتنا وحكامنا كانوا يعزونكم ويعتبرونكم ويكرمونكم . غير انكم ابيتم الا مقاومتها وخنتموها . فاعلم اذًا انكم قبل زمن وجيز استحضرتم الى كنيستكم خمسة احمال من الاسلحة والبنادق في جملتها مدافع فاقتسمتموها انتم ومالويان صديقكم ولا يدري بموضعها احد سواك لانك شيخ معتبر امين لك زمان طويل في خدمة البيعة . قلت له لا اثر لما تقول ولا صحة لما تزعم . ليت شعري من بلغك هذا الخبر الكاذب . فان المبلغ مشترك معنا عارف بما عندنا فاحضره لنتحاكم مواجهة فنرى من الصدوق ومن الكذوب

قال لي انت فرنساوي . قلتُ مالك تتمعض من فرنسا ولفرنسا فضل عظيم على دولتنا فعلى ما اعهد ان دولتنا مديونة لها بخمسة وثلاثين مليوناً . قال : اتجهل ايها الزنديق ان فرنسا اليوم تحاربنا قلت : كلا . ان فرنسا لا تحاربنا بل نحن نحاربها . قال الست انت وكيل اوقاف طائفتك . قلت بلى . قال اذن انت الذي كنت تحاول ان تقوض مقام البوليس الذي يخص ملتكم وقد شغلناه اليوم لصوالح البلد . قلت كنت اوثر ان تغادروا المحل لانكم لا تدفعون الاجرة بل انتم تأكلونها وتحرمون الفقراء والجياع . فاحتدم غيظاً ورفسني برجله فوقعت على ظهري فاقبل احد الجند وعقل قدمي واوثقها ونهض خمسة منهم في يد كل منهم عصى ضخمة وجعلوا يتناوبون في الضرب ويعدون الضربات تشفياً . وما انهوا مائة ضربة حتى استخبرني احدهم : أما خطر ببالك مكان الاسلحة والمدافع .

فاكدت له بقسم انه لا شي عندنا ولا عند مالويان ابداً . ثم نهض خمسة اخرون وشرعوا يضربوني وسدّ احدهم فمي لئلا يزعجهم صراخي فصفعوني مائة صفعة اخرى حتى فزت الدماء وتناثر اللحم فأغمي علي وكادت تزهق روحي. فامرهم المأمور ان يكفوا فحلوني وتركوني جثة هامدة فبادر احدهم وضرب خاصرتي برجله ضربة افاقتني فقلت . آه اني اشعر بان موتي قريب . فقال احدهم للذي ضربني . لا ترفسه بل اصلبه كسيده فاوثقوا كتفي بالحبل وعلقوني منكوساً فوقف اثنان عن يميني وشمالي وجعلا ينتفان لحيتي ويسمعاني كلاماً جفيّاً وغليظاً معاً . وكانت الدماء تسيل على وجهي وثوبي فخارت عزيمتي وغبت عن حسيّ . فقال لي احدهم ابشر فقد طابت حالك الان ـ كيّف وانبسط ـ ثم ضربني على راسي ولطمني وقال حلوا وثاقه فوقعت فدق راسي في الارض وسمع له صوت قوي . ثم جمع احدهم شعر لحيتي ودفعه اليّ يقول: خذه والقه في الكنيف ثم اخرجوني من تلك الغرفة الشيطانية ومضوا بي الى السجن ودفعوني على وجهي فنهض المسيحيون وحملوني على اكتافهم . واستحضر جبرائيل حاجيكي ماء مزجه بالملح وضمّد به جراحي . فلبثت كذلك حتى الصبح لا ادري احيٌّ انا ام ميت

وصباح السبت ٢٦ حزيران وافى ممدوح الى راس السطح يامر ان نخرج فحملني رجل من تل ارمن. فقال ممدوح يلزم كل سرياني وكلداني وبرتستاني ان يرفع ذراعه ويذكر لي اسمه . فكتب الاسماء وامرنا ان نرجع الى غرفتنا . وقبل الاصيل عاد فافرز السريان والكلدان والبرتستان ومضى بنا الى غرفة المتصرف فحملني اذ ذاك

جرجس القدسي بولس كدا فدخلت فقال لي ما اسمك . قلت القس متى السرياني القتوليكي . فكتب اسمي في الدفتر وقال لي انصرف الى بيتك . واخذ يتلو اسماً فاسماً ويطلقه. ولما خرجنا باجمعنا وافى ممدوح يقول لنا ادعوا للدولة بالنصر وانصرفوا فلم يبق من السريان سوى القس يوسف رباني وسليم نجديو ونعوم شموني وعبد المسيح بطيخة ونعوم حمال فاعادوهم الى السجن . فسارع الي جرجس كدا ليحملني فقلت له امهلني ريثما اتكتب واصلح ثيابي فقال . كلا بل يجب ان نستعجل في المضي لئلا يقلبوا علينا ـ اقلبهم الله ـ ويعيدونا الى السجن فاصخت لمشورته فحملني الى الكنيسة . وكان قسان الارمن وشعبهم المسجونون يقولون لنا عند خروجنا : رحماكم اذكرونا واسعوا في انقاذنا ونجاتنا فتالم فوادنا وودعناهم بشديد الاسف . على ان اعداء الخير والدين بعد ايام معدودة استاقوهم وفتكوا بارواحهم كما سترى

وما وصلت الى الكنيسة على الصورة المشروحة حتى اقبل المطران جبرائيل ومن بقي من الكهنة يعزّوني ويسرّون عني غمومي ويرطبون قلبي بعذب كلامهم ويشجعوني . اما الاباء الدومنكيون الثلاثة فما تمالكوا ان خروا جثيّاً امامي وقبلوا يدي يقولون مرحباً بك يا شهيد الديانة. فقد شاركت ابطال الكنيسة في عذابهم . فنسالك ان تباركنا وتدعو لنا . فبكيت لطلبهم وبكوا معي ولبثوا عندي ساعة اخبرهم بما جرى لي . وذكرت لهم خاصة ما قلت المخدوم وقت الاستنطاق عن فرنسا وفضلها مما جعلهم ان يتحمضوا ويبالغوا في تعذيبي

الفصل السادس عشر

حوادث من وقفنا على تفاصيل عذاباتهم

لا جرم ان في ايراد حوادث العذابات التي كابدها بعض الافراد المسيحيين الابطال حبًّا ليسوع فاديهم منفعة لذويهم وفائدة للقارئ. وفخرًا للنصرانية وباعثاً الى تعجب غير المؤمنين من صبرهم وثباتهم في ايمانهم حتى النفس الاخير . وناهيك ان الواقف على جلية آلامهم يلاقي فيهم مثال المسيح ربهم ومعلمهم فيغرم نظيرهم بحبه ويزداد رسوخاً في ايمانه ويتوق الى الفوز بما فازوا من باهر الانتصار وعظيم الجزاء على اثر ذلك العذاب

فهلم اذا ايها الودود دموعاً غزيرة تغسل ادراكك. واعد اذنيك وقلبك لتسمع وتعي . افتكر مليًّا في اشكال العذابات وتعجب واندهل . تروَّ في ثمن دمائهم الزكية وافرح وابتهج. املأ سمعك وبصرك رجاء وعزاء . وارتح من كل قلبك لتحصل على ما حصل احباؤك . واليك اخبار جهادهم واستشهادهم واحدًا واحدًا

١ : اوهنيس ساعور قيّم كنيسة الارمن

لما كان السيد اغناطيوس وجماعته مسجونين مضى ممدوح العتل الى كنيسة الارمن في ٦ حزيران يصحبه قوم من النصبين يريدون على زعمهم الوقوف على مخابئ الاسلحة . وما وصلوا الى باب الكنيسة حتى قبضوا على اوهنيس وافه الكنيسة وتهددوه بافظع العذاب إلمّ يطلعهم على مخزن الاسلحة . فقال لهم الوافه: صدقوني صدقوني انه لا صحة لما تدعون. فاخذوا من فورهم يلطمونه ويهزرونه

ويقولون له . بل تكذب . وانت تعرف المحل فافدنا عنه والا قتلناك انت ومطرانك وقسانك وجماعتك . قال اوهنيس : بايّ قسم تصدقوني . اني اوكد لكم ان مدعاكم باطل . غير انهم لم يعبأوا بكلامه بل احضروا نصرانيين وامروهما بحفر ارض الكنيسة ونبش ارماس الاساقفة ودك المذابح فلم يعثروا على شي.. فاقبلوا على اوهنيس المذكور يتقولون عليه ويبكتونه ثم اتوا بمسارين ضخمين سمروا يديه في الحائط واخذوا سياطاً جلدوه . وبعد مدة انتزعوا المسارين وتركوه ومضوا . ويوم الاثنين سابع حزيران رجعوا الى الكنيسة واستدعوه ثانية واغلظوا له في الكلام وحرقوا عليه الارم وقالوا اخرج الاسلحة .. فقال لهم ساء ما توهمتم .فاستشاطوا غيظاً وقلفوا اظافره عن اصابعه ثم حموا حديدا وضعوه على صدره فاحتمل ذلك الاذى مصطبرا ثم وضعوا جلجلا ثقيلًا في عنقه وارادوه على المشي سريعاً ليضحكوا عليه . وعادوا اليه ايضاً ثالث دفعة بعد سوق القافلة الاولى فساقوه الى السجن واضطروه ان يتوجه الى دياربكر مع القافلة الثانية حتى قضى شهيدا ليلة الثلاثا ١٥ حزيران في آفكور

٢ : داود حنا سوسي

تنتمي عائلة سوسي الارمنية الى عائلة جنانجي النبيلة . وكان داود هذا شاباً في ريعان العمر لا يكاد يناهز الخامسة عشرة فقبض عليه شركاء والده في التجارة يوم السبت خامس حزيران ومضوا به الى اسطبل بيت حسين بك وحموا سفافيد الحديد وكووه وانزلوا به الوان العذابات حتى خرّ شهيدا وفي فجر الاحد سادس حزيران عروه

من ثيابه بالمرة واوثقوه بالحبال وجروه الى باب دار توما القواق فالقوه ثم وتركوه ومضوا . وعند الصباح اتى الحفظة فراوه على تلك الصورة فطلبوا من القدسي توما غطاء يسجونه ويسترونه ثم استدعوا والدته فأتت من فورها تعول وتبكي وسجت جسمه بعباءة وحملته الى بيتها ثم شيعته الى المقبرة ودفنته

٣ : سعيد بطاني مختار الارمن

القي عليه القبض يوم الجمعة ١١ حزيران بعد سوق القافلة الاولى ولما أوثقه الجنود ليخرجوه من داره قال الجدير بي ان استصحب يعقوب ابني ونعوم ابن عمي ليشتركا معي في نيل اكليل الظفر والحصول على السعادة . فمضوا بالثلاثة الى السجن وضموهم الى سائر المسجونين . وفي تلك الليلة استدعوا سعيدا الى غرفة ابليس واوثقوه وضربوه ضربات عنيفة كثيرة على رجليه وجسمه حتى تناثرت لحمانه . والحوا عليه في الاقرار عن مخزن الاسلحة والمدافع . ثم اضطره ممدوح ان يجول معه في البيوت ويقر بالاسلحة الموجودة عند وجهاء الطائفة . فسار به الى دار اسكندر آدم وجنانجي وجرما وكسبو فلم يقفوا على شيء . فعادوا به الى السجن وجعلوه في غرفة خصوصية وعند المساء احموا السفافيد وكووا بها جسمه فتشنج واحترق وتفتح ولم يعد يقوى على الحركة . ولما ذهبت نجمه ابنة عمه لتتفقده في ١٢ حزيران حمله احد النصارى واتى به اليها يصحبه ابنه المحبوب فالقاه بالقرب منها فقالت له : ما جرى لك يا ابن عمي ومن اوصلك الى هذي الحال . فقال لها لا تغتمي يا ابنة العم كوني على ثقة ان الله معي يساعدني في ضيمي وضيقتي . ولا

يشرد عن فكرك انه تعالى انما خلقني هذه الساعة . ثم التفت يقول لنجله يعقوب لا تبتئس يا ولدي فاننا عما قليل نغمض عيننا ونفتحها في السماء . وبعد تلك الزيارة المولمة عادوا بالاب وابنه الى السجن . وفي ١٢ حزيران استاقوا سعيدا فيمن استاقوا مع القافلة الثانية ثم عاد الى ماردين . وذكر لنا نعوم بن نصري حيال اذ كان مسجوناً قال استدعوا مساء الاثنين ٢٨ حزيران سعيدا المذكور الى غرفة العذاب وضربوه نيفاً وثلاثة الاف ضربة بالمناوبة حتى تناثرت لحمانه الباقية ولاحت عظامه وتفجرت دماوه « يا للقسوة والفظاظة » ثم رموا به الى اسفل فقمت اليه وجعلت اعالجه واضمد جراحه . ويوم الثلاثاء ٢٩ حزيران ذهب به وباوسيب باطري قليونجي وسليم حياو وسموئيل حنجو وغيرهم قوم من الجنود القساة الى المغاور القريبة وقتلوهم . وذكر احمد بن يشي صاحب بيت الخلوصي انه بعد ما اراق دم سعيد احضر منه قطرات في زجاجة الى امراة اسحق الخلوصي فحسته فعلقت وحبلت وولدت . اف من الفظاظة والتوحش

٤ : الاب مكرديج قليونجي

ذكرنا فيما سبق نفور ممدوح من اسمه الارمني وانزاله به الضرب الوجيع . وزادنا نعوم حيال وغيره ممن كان في السجن ان الجنود الفليظي الرقاب نتفوا لحيته برمتها وضربوه دفعة ثانية ليلة ٢٩ حزيران ضربات لا عدد لها حتى خلعت اصابعه عن قدميه بالمرة وفاضت عيناه بالدموع مع دمائه ثم اخرجوه وطرحوه الى اسفل والبث يتململ معذباً حتى ساقوه مع رفاقه القسان والجماعة وقتلوه يوم الجمعة ٢ تموز ١٩١٥

٥ : سليم حيلو

واستدعى الكفرة سليماً حياو وصفعوه نيفاً وخمسمائة وخمسين ضربة كان المسيحيون المسجونون في الطابق التحتاني يعدونها واحدة فواحدة ثم طرحوه الى اسفل ولما افاق قال للمسيحيين المسجونين ان خمسة من القساة تناوبوا في ضربي بقضبان رطبة حتى انخلعت اصابع رجلي كما ترون . وما عتم ان ساروا به في ٢٩ حزيران الى المغاور وقتلوه مع رفاقه

٦ : الياس تفنكجي

هذا ايضاً بالغوا في التمثيل به حتى فاضت دماؤه وخولط في عقله ثم قتلوه مع من سبق في ٢٩ حزيران في المغاور المعروفة بالقساطع

٧ : فتح الله شامي

اوثقوه بالعقلة وبالغوا في التنكيل به ورفسوه ولطموه حتى فقئت احدى عينيه. ثم ساروا به في ٢٩ حزيران مع من ذكرنا وفتكوا به

٨ : جبرائيل حاجيكي وجرجس ابنه

يقصر اللسان عن تعداد اشكال العذاب التي انزلها اعداء النصرانية الهمجيون بجرجس الشاب المذكور الذي كان منتمياً الى الجمعية على زعم الخونة . فانهم ذهبوا الى داره وانزلوا العذاب بزكية قرينته وبالغوا في التفتيش والتنقير عن الاسلحة ثم عادوا مأيوسين ونفثوا في جرجس سمّ غيظهم وضربوه ضربات لا تعداد لها بحضور والده جبرائيل كي يشترك معه في الالم . وكان والده المسكين يحمله كل

ليلة الى قاعة ابليس فيضربونه بازائه ويضطرونه ان يعود به الى مكانه . ما افظك ايها الانسان وما اغلظ طبعك فقد فقت بعملك اوحش الوحوش واخبث الشياطين واقسى القساة . ولبث جرجس يتعذب ويتالم حتى ساقوه مع القافلة وقتلوه هو واباه في ثاني تموز

٩ : جبرائيل نهيبه

هذا ايضاً اشترك في العذاب الفادح كسائر من ذكرنا حتى فلّ عقله وجُن ثم استاقوه مع القافلة وقتلوه في ثاني تموز

١٠ : يوسف مالو

كان يوسف فتى نجيباً لم يبلغ من العمر ستة عشر ربيعاً وكان متزوياً في دار السيد اغناطيوس مالويان . وبعد سوق القافلة الاولى جدوا في طلبه حتى القوا القبض عليه واحضروه الى السجن واستاقوه مع القافلة الثانية الى دياربكر ورجع معهم وظل في السجن وما مر الا القليل حتى استدعوه الى منقع العذاب وصفعوه بخشونة لا مزيد عليها . وعلى شدة ضربه لم ينبس ببنت شفة ولم يتأثر للوجع ولم يتشك عضواً من اعضائه مما حير القتلة الكفرة واذهلهم . ففتشوا يوسف فاذا صليب عود الخلاص في عنقه فانتزعوه من صدره وجعلوا يتناوبون في ضربه مدة خمسة عشر يوماً كل يوم ثلاث دفعات وهو اثناء ذلك صابر صامت لا يلفظ حلوة ولا مرّة . ذلك ليس مبالغة البتة فان نعوم حال وغيره رووا لنا هذه الحوادث وقالوا اننا بعيننا راينا وباذنينا سمعنا ذلك كله . وما برحوا يعذبونه حتى استاقوه مع القافلة وقتلوه في ثاني تموز

١١ : توما بن عبد المسيح حنجو

سعى به شيخو بن اوسو عبدال المشكوي احد خصوم أهله الالداء . وكان شيخو هـذا من جملة العسكر الحميني المشهور بالدهاء والجفاوة . ولما وصل بتوما الى منقع العذاب هجم اصحابه على توما ونكلوا به تنكيلاً شديداً مدة سبع ساعات بتمامها فتضعضعت عظامه وتدفقت دماؤه وتناثرت لحمانه . ثم القوا بـه من الدرج الى اسفل وهو يصيح باعلى صوتـه ويقول يارب يا رب وظل كذلك حتى ساقوه وقتلوه في ثاني تموز وفتكوا به

١٢ : رزق الله ديلنجي

هذا بعد ما انزلوا به صنوف العذاب علقوه في الغرفة المعهودة منكوس الراس وتنـاولوا القضبان وتناوبوا في ضربه حتى الصباح ثم القوه من السطح الى اسفل عـلى آخر رمق . حتى ساقوه وقتلوه في ثاني تموز

١٣ : شكر كسبو

بالغ الاعداء في التفتيش والبحث عن شكر المذكور من ثالث حزيران الى ان رجعت القافلة الثانية . فتهـددوا اسرته وتوعدوا النساء بالتمثيل بهن علانية الم يطلعهم على موضع اختبائه. وكان شكر اثناء ذلك مختفياً في اعماق بيت عمه المعلم فرجو كسبو . فارسلت اليه عائلته تقول احضر الى دارك والا هلكنا باجمعنا . فاضطر ان يغادر مخبأه ويعود الى بيته تحت الليل . وصباح ثلاثين حزيران انقض الجنود كالبواشق على داره وقبضوا عليه وساروا به

الى السجن وانزلوا بـه اغلظ العذاب حتى جعل يقول لهم اطلقوني فاعطيكم قدر ما تريدون من البنادق والمدافع فان عندي الف مدفع والف بندقية والف بارودة ثم صلبوا كتفيه وتناوبوا في ضربه من المساء حتى الصباح دون ملـل . ثم دعوه دعاً من السطح الى اسفل فاقبل ممدوح عند الظهيرة وامر ان يحمل الى بيته . وعنـد العصر سار اليه واخذ ما اخذ من المبالغ الباهظـة . وظل شكر ملازماً داره يتململ من العذاب حتى سيق مع قافلة النساء الاولى كما سترى في ١٥ تموز ١٩١٥

١٤ : يعقوب ويوحنا ابنا عبد المسيح انجيم
ووالدتهما صوفيه

بعد مذبحة رجال القافلة الاولى سار شاكر بك وامين بك ولدا الحاج عبد القادر باشا الحاج كوزه الى دار عبد المسيح انجيم وفاوضا صوفيه امرأته واكدا لها انهما يحقنان دمها ودم ولديها ويقصيان عنهم كل خطر . فدفعت لهما صوفيه ثمانين ليرة وشيئاً من الحلي ثم استحضرا قوماً من الحمالين نقلوا كل ما كان في البيت من البضائع والاثاث والامتعة وذهبا بالام وولديها الى دارهما . ومـا مر الاسبوع حتى قصدت مريم ابنة عبد المسيح تلك الدار لتستفسر عن حال امهـا وشقيقيها فقيل لها انهم في البستان فعادت مضطربة الى بيتها وما مر على ذلك ثلاثـة ايام حتى سارت تكراراً لتستوضح عنهم فأرتجوا الباب في وجهها فرجعت والافكار تزعجها . وفي الغد سارت ثالثة لتقف على حقيقة الخبر فاغلظوا لها وقابحوها وقالوا لها مالك تختلفين الى دارنا او حسبتها سوق مزايـدة . ارجعي الى بيتك والا .

فقهمت المراة المسكينة ان قد قضي امر امها وشقيقيها . . وحقيقة الواقع ان الام وولديها بعدما قضوا ليلتهم في تلك الدار قتلوا غيلة وذبحوا حتى خرجت ذات بطنهم . ثم بعثت جثثهم والقيت تحت الباب الجديد وتركت فريسة للوحوش . وعلى هذا الاسلوب تم استشهاد الام وابنيها الفتيين النجيبين وهما في طراوة السن ونضارة العمر

١٥ : يوسف خضرشا وابنه ميخائيل .

كان يوسف اثناء المذبحة في تل ارمن فتزيا بزي النساء وتقنع وركب فرسه يريد البلد . ولما وصل الى عين عبدال شعر به قوم من الحنظة والمشكوية فثاروا به واختلسوا فرسه ودراهمه واطلقوا له الحرية ليدخل المدينة فتوجه الى بيت منصور سحار واختفى فيه مدة. وفي تلك الغضون شخص اليه مصطو بن بدو المشكوي وابنه ابرهيم وبذلا له كلمة الامان ونصحا له ان ينهزم الى سنجار. فتاكد ليوسف صدقهما وارسل في استحضار ابنه ميخائيل وكان ميخائيل شاباً نجيباً لم يمر عليه منذ حضر من اميركا الى وطنه الا اسابيع . فركبا كلاهما الى الخاص قرية بيت شهتنا ونزلا في دار خضر بن عبد الرزاق صديقهما. وما قضيا تلك الليلة حتى نهض عليهما خضر وعبد الكريم اخوه وخرجا بهما الى خارج القرية وقتلاهما كليهما واذاعا ان قد ارسلناهما الى سنجار

وعلى هذا الاسلوب ضرب الاعداء القساة وصفعوا وهزروا وعقلوا ونكلوا بقوم غير يسير من اعيان الارمن خاصة . ومن جملتهم ايضا نذكر الياس بعوصي وسليم بجديو ونعوم شموني السرياني وابن شاهين وغيرهم

ويجدر بنا ان نختم هذا الفصل بما حدث للشيخ الوقور نصري حمال احد اعيان الطائفة السريانية فان الخصوم الانذال بعد ما القوا القبض على انجاله الثلاثة اسكندر وفيلبس وعبد المسيح وهم في شرخ الشباب واستاقوهم الى السجن . اقبل الى داره في سابع حزيران صالح الداشي وحقي البوليس وجينو القزاز وابن اخيه وعبد السلام الروضة ومعهم فيلبس ابنه فتركوا فيلبس على الباب واخذوا زناره ودخلوا يقولون لنصري ان فيلبس ابنك يقول اعطنا البندقية وهوذا زناره يدل على صدق مقالنا . فقال لهم نصري. لست ادري اعندنا بندقية ام لا فاذا كان قولكم صحيحاً احضروا فيلبس يعطكم ما تبتغون . فتهددوا الشيخ وتوعدوه بالقتل ثم سار احدهم واتى بفيلبس . فقالوا له اخرج البندقية . قال فيلبس اي بندقية. قالوا اتنكر ذلك علينا ثم سطحوه في قاعة الدار وضربوه وضربوا نصري والده ضربات شتى بالمناوبة . وظلوا يضربون الاب وابنه مدة اربع ساعات . ولما اعياهم ذلك اوثقوا نصري وفيلبس نجله وساروا بهما الى جامع محمد الضرار جنوبي البلد . فوقف من بقي في البيت ليشاهدوا ما سيعرض لهما . فاذا بالكفرة الاوغاد قد ربطوا عيني الاب وابنه ربطاً محكما وتناولوا بندقية اطلقوها في في الجو فظن الاهل انهما قتلا . وما مضى قليل من الزمان حتى احضروا نصري الى داره واعادوا فيلبس نجله الى السجن. ثم حضر توفيق الانصاري وحقي البوليس وقادي ايو المشكوي ورفاقه وقالوا لنصري ادفع لنا البندقية والا اخذناك الى السجن وضمناك الى اولادك . فاكد لهم ان ليس عنده شيء مما ذكروا . وما لبث

نصري يتعذب حتى ساقوا اولاده وقتلوهم مع من قتلوا في القافلة الاولى على ما ذكرنا

ويوم الخميس عاشر حزيران القي القبض على نعوم ابنه فسار مع رفاقه الى دياربكر وعاد معهم على ما سبقنا · ولما فصلوا السريان عن الارمن واعتقوهم من السجن وسرحوهم الى بيوتهم · امر ممدوح ان يبقى نعوم في السجن فلبث حتى ١٥ تموز لم يمدد احد عليه يدا · غير ان الخصوم حاولوا ان يسوقوه مع من استاقوا من السجن في ٢ تموز فبذل لهم رشوة وافرة فسكتوا عليه · وفي ١٦ تموز قصد الجنود دار نصري ايضاً يقولون ادفع بدل نعوم ابنك فيفلت من السجن فدفع ثلاثاً واربعين ليرة وطلب التذكرة فقالوا هي عند ممدوح فقصد نحوه نصري والتمس التذكرة منه · فجعل ممدوح يتهدده ويتوعده بما فطر عليه من شراسة الطبع وفظ اللسان · وامر الذين حوله ان يقبضوا عليه ويزجوه في السجن ويضموه الى نعوم ابنه · وما وصل الى المحل حتى اختلس نوري البدليسي ما كان عنده من الدراهم · ومذ ذاك تعود نوري وغيره على الاختلاس واستزاف المال · اما ممدوح فاضطر نصري ان يدفع له الفاً وخمسمائة ليرة ليطلقه هو وابنه · غير ان ملكة ابنته قصدت احمد بشار ودفعت له من الاموال ما بلغت قيمته نيفاً ومائة ليرة ليسعى عند ممدوح في اطلاق ابيها واخيها · فسمع ممدوح الخبر وامتغض اي امتعاض واستدعى نصري وقال له مالك توسط الناس في تخليتك · اعلم اني لست اطلقك الم تدفع لي مائتي ليرة فوق ما اخذت منك من البضائع · فقال له نصري · مر في احضار ملكه ابنتي فابلغها ما

يجب ان تفعله · فلما حضرت استدعى نصري وابنه الى فوق وراح عبدي حمود وخليل الداوجي يتنصتان ثم حضر ممدوح وقال للضابط عليّ بحزمة من القضبان · فاقشعر بدن نصري وهلع قلبه لدى سماعه الكلمة وما زالت الرعدة والقشعريرة لازمة له حتى اليوم · ولما اخذ ممدوح القضبان وعجمها القاها من يده يقول : هلم قضبانا رطبة لا يابسة · غير انه لم يضرب بها نصري بل اتخذ ذلك وسيلة لتخويفه حتى اذا كان رابع اب دفع له نصري مائتي ليرة فاطلقه · اما ابنه نعوم فظل مسجوناً حتى ١٥ اب فقضى في السجن ٥٨ يوماً ثم سرح الى بيته

الفصل السابع عشر

عذاب الارمن المسجونين · كبس كنيسة الارمن · ضرب الورتبيت اسطفان والاب يعقوب · سوق المسجونين — قتلهم · اسماء الكهنة الارمن · البحث عن الاسلحة

ولما اطلق بقية رجال السريان والكلدان والبرتستان من السجن وبقي الارمن وحدهم ثم اعداء الانسانية ينزلون بهم انواع العذابات الفادحة حتى ٢٨ حزيران فكبس عند العصر كنيسة مار يوسف نحو ثلاثين من الجند والعملة في مجارفهم ومعاولهم وعصيهم فشاهدوا الورتبيد اسطيفان خرلوزو الشيخ الوقور منزوياً يصلي فرضه فعربدوا عليه واستدعوه بسخط وغضب وقالوا له انبش الاسلحة والقنابل المطمورة في الكنيسة · فانكر عليهم الشيخ وجودها · فحملقوا فيه الابصار وقالوا له كيف يسوغ لك ان تكذب على الدولة ونحن

عارفون حق المعرفة ان القنابل والمدافع مدفونة في قلب ارض هذه الكنيسة · فقال لهم بتذلل صدقوني انه لا اثر لما تقولون.فاحتدموا غيظاً وعلقوا يضربونه وينتفون لحيتـه البيضاء ثم اخرجوه خارج الكنيسة ونزعوا عنه رداءه ومضوا به الى غرفته واخذوا ما كان قد بقي في صندوقي الكنيسة والفقراء من الذهب والفضة وبعد ذلك رجعوا به الى الكنيسة تكراراً · وما كاد يضع قدمه في الباب حتى دعه احدهم بشراسة فوقع على وجهه واغمي عليه · فتركوه على تلك الصورة واستدعوا رفيقه الجليل القس يعقوب والحوا عليه في الاقرار بطامير الاسلحة فما تماسك الاب ان قال لهم بجرأة · « قلنا ونقول لكم الحق ان ليس عندنا اسلحة بتة · فان ديننا لا يعلمنا الكذب ابداً فانتم ترمون الى قتلنا لغير علة فاقتلونا عاجلاً لنخلص وتخلصوا »

فما كان من اولئك اللئام الا ان افحشوا له في الكلام وساروا الى المذابح الثلاثة فاختلسوا أغطيتها ولما صادفوا الشماعد الكبيرة التفتوا نحو جبرائيل نسمه الشيخ الارمني وكان وحده اذ ذاك في الكنيسة وقالوا له : ما هذا يا رجل · فتبسم جبرائيل وقال : هذه شماعد توضع فيها الشموع وتوقد · قال القومسير : كلا · بل هي اسلحة ومدافع صغيرة · فاصدقنا المقال وافدنا عن مخابئ القنابل والا قتلناك الساعة في مكانك · قال جبرائيل انا رجل سرياني لا معاطاة لي مع الارمن وقد حضرت الساعة لاصلي ههنا · فجعل احدهم يشتمه اقبح شتم ويقذف من فيه النجس كل كلام بذي ضد الدين والاسرار الخ حسبما اعتاد لسانه القذر من نعومة اظفاره

ثم صاح القومسير بالفعلة الحاملين الآت الحفر فحفروا تحت المذبح الكبير مقدار نصف ذراع · وحفروا عند المذابح والشباك الجنوبي وساروا الى طابق الكنيسة الاعلى وحفروا كثيراً ثم حفروا في ازواق الخارجي نحو ذراعين ثم دخلوا الكنيسة ثالثة وقوضوا درج المذبح وحفروا نحو ذراعين وقصدوا السكرستيا (الموفه) واستلبوا ما شاهدوا من الاطباق الفضية والذهبية وفتحوا بيت القربان واخرجوا الكاس وصعد احدهم الى درج المذبح واستل سيفه وضرب شخص مار يوسف كأنه شلت يده يريد الانتقام منه· وكان جبرائيل نسمة واقفاً يلحظهم وهو صامت مبهوت · ولما ملوا البحث والتنقير وآيسوا انقلبوا الى منازلهم

وفي ٣٠ حزيران تم قرار اللجنـة الشيطانية على استياق الارمن المسجونين وذبحهم كالذين سبقوهم · فشد من بغتة قوم منهم على الكنيسة المشار اليها واغلقوا الابواب واستلموا المفاتيح واستاقوا الكاهنين الفاضلين الى السجن واضافوهما الى اولادهما الاعزاء·

وغلس الجمعة ٢ تموز نشموا كمالوف العادة يوثقونهم ويغللونهم بحنق وغيظ ثم استاقوهم شرقي المدينة وما خرجوا من الباب حتى شرعوا يقضبونهم ويجرونهم بقسوة اشد من ذي قبل ويستعجلونهم على المسير· ومن تخلف منهم لسبب ما اصابه من العذاب في السجن ثاروا به وقتلوه حالاً والقوه في ذلك الوادي الهائل فاصبحت تلك الطريق مبذورة بالجثث · ولما بلغوا بهم على تلك الحال التاعسة الى حرين بادر اهالي القرية الاردياء وانضموا الى العسكر الحمسيني وانكالوا عليهم بالشتم والضرب والطعن واللطم ربما وصلوا الى دار

فبادر اليهم كبار البلد ايضاً واطبقوا على اطلاق الرصاص على جماعة منهم فقتلوهم وذبحوا طائفة على افواه الابار والقوا فيها الجثث جميعها والتقفوا الالبسة والاثقال وانكفئوا الى منازلهم

وذكر لنا ثقة عن القس يعقوب فرجو انه بعد ما قتل الكهنة تقدم اليه شاكر ابن الحاج قاسم افندي وعرض عليه الاسلامية . فسخر منه القس يعقوب وقال له . ويحك يارجل . ما هذا الكلام البارد التفه . اسرع في قتلي والحقني برفقتي لافوز بغايتي . بادر واذبحني كي يمتزج دمي بدمائهم . فاني لا اغمض عيني حتى افتحها في السماء عندهم . على هذا المنوال قتل جميع كهنة الارمن الافاضل وانيف شعبهم المحبوب . واليك اسماء اولئك الكهنة الشهداء .

الورتبيد اسطيفان حولوزو . الاب اثناسيوس بطانه . الاب يعقوب فرجو . الاب انطون احمراني . الاب ليون نزر . الاب ميناس نممي . الاب مكرديج قليونجي . الاب اغوسطين بغدي . الاب ورطان صباغ . الاب نرسيس جرو . الاب هاير بوغوص سنيور . الاب بولس شدّ خوري دارا . الاب جبرائيل قطمرجي . الاب اغناطيوس شادي

اما الورتبيد اوهنيس بوطري كبير الخوارنة البالغ من العمر ثمانين سنة ونيفاً فان الخصوم نفسوا به عن القتل توفية لطامعهم فانزلوا به الوان العذاب يقررونه عما عنده وعند الجماعة من الذهب وافضى بهم الامر الى ان حبسوه في غرفة طولها خمسة اشبار في مثلها عرضاً وضيقوا عليه جداً حتى صاح الموت . ثم استحصلوا منه مقدار مائتي ليرة ذهباً ومضوا به الى دار السيد اغناطيوس مالويان

فاستمر فيها حتى ١٥ تموز فاستاقوه مع قافلة النساء الاولى وقتلوه

وتشاغل اعداء الدين والانسانية مذ ذاك الى ١٥ تموز في الفتك بنصارى القرى المجاورة . ولم يفتروا من البحث عن الاسلحة حتى انهم في رابع تموز ارسلوا بعض العملة الى دير مار افرام فاخذوا كمية من الشموع الى مقبرة الارمن المعروفة بالتلول فحفروا يوماً صحيحاً كاملاً ولم يعثروا على شيء البتة . ولعمري انهم لو وجدوا قطعة واحدة او كما يقول العامة طقطوقة صغيرة عند المسيحيين لمحقوا كاثليك المدينة واجتثوهم قاطبة

الفصل الثامن عشر

ذكر الشهدا الذين قتلوا في المذبحة الاولى والثانية في ١٠ و١١ و١٥ حزيران

قلنا ان عدد القتلى في القافلة الاولى بلغ اربعمائة وسبعة عشر وفي القافلة الثانية تسعة وتسعين . اما في القافلة الثالثة التي ذكرناها في الفصل السابق فكانوا نيفاً وستمائة نسمة . وقد اوردنا اسماء الكهنة جميعاً واسماء البعض من وجهاء الارمن وغمضنا عن ذكر سائرهم لكثرتهم . وعلى الاجمال نقول انه لم يبق من رجال الارمن سوى الشيوخ او من اختفى عن العيان فقط فقرروا ان يضموهم الى النساء ويسوقوهم معهن . وقد كنا نحب ان نسرد ههنا اسماء الذين ذبحوا من غير الارمن فتعذر علينا الحصول على اسماء الكلدان الا اننا عرفنا انهم ناهزوا الاربعين ومن جملتهم اربعة اخوة شبان اعزاء من اسرة شوحا النبيلة